361

HARLEQUIN

روايات أحلام

الحب لعبة

كاتي ويليامز

www.elromancia.com
مرمورية

الحب لعبة

إنها تحلم ! هذا ما شعرت به كاتي عندما طلب منها رجل الأعمال الإيطالي الوسيم برونو غيانيلا أن تصبح سكرتيرة شخصية له .. في المنزل !

إنه حلم تحول إلى صدمة عندما ظنّت أن ثمة ما يجذبهما إلى بعضهما البعض . كيف يعقل هذا وبرونو رجل ذو خبرة في أمور النساء ! ما الذي يعجبه فيها . هي الفتاة المتحفظة الخجول !

إلا أن برونو مقتنع بأن سكرتيرته تخفي تحت مظهرها البارد ناراً ملتهبة .. وإضرام هذه النار مهمة تتصدر جدول أعماله .

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-274-8

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
His virgin Secretary
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Cathy Williams 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 274 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

كاثي وليامز

ولدت «كاثي» في جزيرة «ترينيداد» وترعرعت في «توباغو». نالت منحة دراسية فسافرت إلى بريطانيا. في جامعة «إيكسيتر» أكملت دراسة المادة التي لطالما عشقتها وهي اللغات والأدب. وفي «انكلترا» التقت زوجها «ريتشرد»، وهما يعيشان الآن في بريطانيا مع بناتهما الثلاث. أقاما بداية في «وادي التيمز» وبعدها في «ميدلاندز».

١ - رفيق لا مهرب منه

كان برونو عائداً بالطائرة من نيويورك، وأدركت كاتي أنها لن تستطيع الاختفاء عن الأنظار لحظة وصوله كعادتها.

ببساطة تامة، إن برونو غيانيلا يسبب لها الرعب. لقد التقت به للمرة الأولى منذ ثمانية عشر شهراً، وذلك عندما أجرى مقابلة معها. يومها اضطرت إلى التملق وإلى تحمّل كلماته الصريحة... فكل ما كان يرمي إليه هو اكتشاف بعض الأمور عنها، آخذاً بالحسبان الدور الذي ستلعبه في حياة عرّابه. مرّت عليها يومها ساعة ونصف هي الأكثر إرهاقاً في حياتها كلّها، ما جعلها تدرك، دون أدنى شك، أن الطريقة الوحيدة التي تسمح لها بالاستمرار مع هذا الرجل هي أن تقلّل تعاملها معه قدر الإمكان.

منذ ذلك الوقت، تمكنت من اتقان فن التهرّب منه. فزياراته لعرّابه كانت تتبع جدولاً واضحاً، كما أنها قليلة ومحدّدة بصورة مسبقة. وقد استنتجت منذ وقت طويل أن برونو غيانيلا ليس شخصاً عفوياً يسهل التعامل معه. هذا الأمر أشعرها بالامتنان دوماً لأنه أعطاها مجالاً واسعاً لجعل مغادرتها للمنزل تتزامن مع زياراته؛ وهكذا لم تكن تراه إلا مغادراً أو أنها لا تراه مطلقاً. أما الآن، فلم يكن من السهل تجنبه.

لقد نقل عرّابه جوزيف إلى المستشفى بسرعة بسبب إصابته بنوبة قلبية مفاجئة بعد ظهر يوم أمس. سبب ذلك لها صدمة كبيرة، وما إن استقرت الأمور قامت بالاتصال بابنه بالمعمودية لتخبره بما حصل. اضطرت للقيام بعشرات الاتصالات إلى أن تمكنت أخيراً من التحدث إليه في مكتبه في

نيويورك. ومع ذلك لم تسلم من ملاحظة لاذعة من قبله لأنها أمضت وقتاً طويلاً قبل أن تتصل به. جعلتها ملاحظته تتلعثم في كلامها ولم يتسنّ لها الوقت لتشرح له الصعوبات التي واجهتها قبل أن تتمكن من معرفة مكانه. وما لبث أن قال لها بحدّة إنه سيعود إلى إنكلترا مباشرة وإنه يتوقع منها أن تكون في المنزل عندما يصل في اليوم التالي، ثم اقفل الخط فيما هي لا تزال في منتصف حديثها، ما ذكرها على الفور لما تكره هذا الرجل بقوة.

راحت تحدق بالطريق وقد سيطر عليها القلق واليأس كشخص ينتظر حبل المشنقة، وفكرت أنه لم يكن أمامها مناص كي تتجنب ما هو محتوم. قبل ساعة من الآن قامت بجولة حول المنزل ثم جلست ترتاح على المقعد ذي الألوان الباهتة علّها تستجمع شجاعتها، لكنها لم تستطع التخلص من الإحساس بالحذر والترقب.

إذا تمكنت من رؤيته قبل أن يدخل من الباب الأمامي للمنزل، فربما يمكنها عندئذٍ أن تحظى بفرصة لتستجمع قواها أمام تأثيره المزعج عليها.

مع ذلك كلّه لم تنجح خطتها، ففي اللحظة التي وصلت فيها سيارة الأجرة إلى الطريق المؤدية إلى المنزل حتى تبخر كل ما لديها من هدوء كأنه سحابة من دخان، وشعرت على الفور بتقلص في معدتها.

من خلال تعاملها المحدود مع برونو غيانيلا، كانت كاتي ترى تمتعه بتلك السلطة القوية أمراً غير منصف على الإطلاق، فهو يجمع، إلى جانب الثروة، الذكاء والجاذبية. إنه يستحق ألاّ يحظى بتلك الجاذبية، أو أن يكون على الأقل ذا مظهر عادي. لكنه على العكس من ذلك، يملك عينين قاتمتي اللون رائعتين تديران رؤوس النساء وتتركهن مذهولات. أما شعره فهو لامع وذو لون قاتم مشابه للون عينيه، كما أنه يملك فماً مغرياً وملامح وجه كأنها نحتت بيد عاشقة وعين تعشق الكمال.

على الرغم من ذلك، كانت كاتي ترى أن ذلك الوجه الوسيم المتيقظ مطبوع بالبرودة الدائمة، وتينك العينين غامضتين ولا تحملان أي تعبير، أما

فمه فيبدو عليه السخط والانزعاج بصورة دائمة.

بعد فترة قصيرة من بدء عملها مع جوزيف، أخبرها هذا الأخير بفخر أن ابنه في المعمودية شخص يحسب له حساباً عندما يتعلق الأمر بالعلاقة مع الجنس الآخر. يومها التزمت كاتي الصمت وهي تتساءل إن كانت هي المرأة الوحيدة المحصنة ضد ما يسمى «السحر الأسطوري».

القرع بإصرار على جرس الباب بدّد أوهامها فأسرعت إلى الباب الأمامي لتفتحه وأدركت منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليه، كيف تبدو أمامه. إنها خرقاء، مرتبكة وشديدة البساطة إلى درجة غير مقبولة.

في الواقع، ما إن فتحت له الباب حتى أبعدت نظراتها عن جسمه القوي الذي بدا كالبرج أمامها، وقالت بهدوء: «برونو، ادخل. إنه... تسرني رؤيتك».

ثم أغلقت الباب واتكأت إليه كأنها تطلب منه المساعدة. سار برونو بخطوات واسعة نحو القاعة. لزمه بعض الوقت ليعتاد على الجو العابق للمنزل.. أو بالأحرى «للمدرسة القديمة». فعرّابه كان بروفسوراً قبل أن يترك عمله ويتفرغ لتسلية هذه الفتاة التي تتكور على نفسها أمام الباب.

ما من شيء يثير سخطه وغضبه مثل رؤية شخص ينكمش على نفسه خوفاً أمامه.. وهذا بالتحديد ما تفعله كاتي وست. شعرها البني الأجعد يخفي وجهها لاسيما عندما تنظر إلى الأسفل، أما يداها فمشبوكتان خلف ظهرها وكأنها مستعدة لأن تفتح الباب في أي لحظة وتجري مسرعة على الطريق.

قال بنبرة سطحية: «علينا أن نتحدث».

بدا بوضوح أنه شخص معتاد على إصدار الأوامر فيما يتوقع من الآخرين تنفيذها وتابع يقول: «ولست مستعد لإجراء نقاش وأنا أقف هنا بينما أنت ملتصقة بالباب. فما رأيك أن تبتعدي عنه وتقومي بإعداد الشاي لنا؟»

اعتاد جوزيف أن يكيل لها المديح مطوّلاً، ولم يتمكن برونو فهم تصرفه

هذا مطلقاً، حتى لو أمضى حياته بحثاً عن السبب، فبالكاد تتفوه هذه الفتاة بكلمة. وإذا كانت تملك حقاً شخصية فذة وتتمتع بالذكاء فلا بد أنها تتعمد دائماً إخفاءهما عنه فلا يبدو عليها ذلك في حضوره. كاد يتأفف لشدّة غضبه حين مرت أمامه قاصدة المطبخ. ما إن أصبحا في المطبخ حتى قال: «إذن، أخبريني ما الذي حدث، ولا تهملي أي تفصيل»

جلس ملقياً بثقله على إحدى كراسي المطبخ، وراح يراقبها وهي تضع الماء في السخّان وتبحث عن كوبين للشاي في الخزانة.

- متى حصل هذا.. هذا الأمر بالتحديد؟

لم تكن كاتي بحاجة إلى النظر إليه لتشعر أن عينيه تحدّقان بها بقوة.

- أخبرتك بذلك على الهاتف بالأمس.

- وهل يمكنك أن تنظري إلي عندما أتحدث إليك؟ من المستحيل أن أجري حديثاً مع شخص فيما هو يصرّ على التحدث إلى كوب الشاي.

نظرت كاتي إليه مباشرة، وعلى الفور ساورها شعور بعدم الاستقرار، وقالت: «كان قد تناول لتوه كوباً من الشاي...».

- ماذا؟

- قلت إن جوزيف كان قد أنهى..

قاطعها برونو وهو يلوّح بيده بنفاد صبر: «لا، لا، لا. أقصد ماذا تناول مع الشاي؟ شيئاً ما قد يكون سبب هذه.. الأزمة. هل هم متأكدون تماماً من أنها أزمة قلبية، وليست مرضاً آخر؟»

- بالطبع هم متأكدون. بحق الله، إنهم أطباء!

- هذا لا يعني أنهم آلهة. كل شخص معرّض للوقوع في الخطأ.

ارتشف قليلاً من الشاي، وبدأ يفك عقدة ربطة عنقه والتعب بادٍ عليه بوضوح. شدّها إلى الأسفل كي يتمكن من فك زرّين من أزرار القميص. راحت كاتي تراقبه بذهول غريب، كأنها شخص يراقب شيئاً خطيراً وهو

يجهل ما الذي يحمله له من مفاجآت.. كمن يراقب أفعى الكوبرا!

تذكرت ما قاله من قبل عن تحدثها مع كوب الشاي، وبذلت مجهوداً كبيراً كي لا تشجعه على المزيد من الانتقاد فقالت: «مرضه ليس ناتجاً عن تسمم في الطعام. عند الصباح تناول فقط بعض الخبز الذي حضّرته ماغي بمساعدتي، بالإضافة إلى كوب من الشاي. بدا بحالة جيدة وهو يأكل منه، لكنه قال لي بعد قليل إن لديه شعوراً غريباً وهو يحتاج إلى الذهاب إلى غرفته كي يرتاح».

شعرت كاتي بعينيها تمتلئان بالدموع لذكرى ما حصل حين تحول هذا الشعور الغريب إلى شيء أكثر خطورة... تذكرت كيف ترنح وأمسك بصدره بقوة، وبالكاد تمكن من التلفظ ببضع كلمات.

- بحق الله، لا تبكي! يكفيني التعامل مع ما يجري دون نحيبك.

تمتمت: «آسفة، لقد كنت خائفة جداً عندما.. عندما حدث كل ذلك. لم يكن الأمر متوقعاً.. أعلم أن جوزيف في السبعين من عمره تقريباً، لكنها لا تعد سناً متقدمة، أليس كذلك؟ أعني في أيامنا هذه».

توقفت عن تناول الشاي الذي لم تكن ترغب به على أي حال. وأخذت تحرك يديها بعصبية في حضنها. وفكرت أنه، على الأقل، لن يتمكن من رؤية ذلك فيتهمها بأنها عاطفية. وتابعت تقول: «لم يكن هناك مؤشر.. على أي شيء. في اليوم السابق تماماً خرجنا للتنزه في الحديقة، فذهبنا إلى المستنبت. إنه فخور جداً بأزهاره وهو يعتني بها كل يوم، ويتحدث إليها أحياناً».

قال برونو بخشونة: «أعلم ذلك».

كان جوزيف يكتب إليه باستمرار مرّة كل أسبوع إلى عنوانه في لندن، ومن هناك ترسل الرسائل إلى برونو أينما كانت وجهته في هذا العالم. حاول جهده أن يجعله يعتاد على استخدام تقنية الكومبيوتر، معدّداً له المنافع التي لا تحصى للبريد الإلكتروني، إلا أن عرّابه ظل مصرّاً على استخدام وسائل الاتصالات القديمة الطراز، مع أنه كان يهزّ رأسه موافقاً ومستفسراً بقلق واضح عن

قدرات الكومبيوتر وإمكانياته. يستطيع برونو المراهنة على حياته بأن جهاز الكومبيوتر المتطور الذي أحضره لعرابه ما زال في مكانه وقد غطاه الغبار دون أن يستعمله أحد.

نقل كوب الشاي إلى الجهة الأخرى ومال إلى الأمام فاتكأ بذراعيه على الطاولة كأنه يتعمد ازعاج كاتي. ثم قال بإصرار: «لا بد من وجود مؤشر ما..».

- إطلاقاً. لو ظهر عليه أي عارض منذر بما سيحصل لأخبرتك على الفور..

- أكنت ستفعلين ذلك؟

القلق على عرّابه جعل صوته مليئاً بالسخرية والقسوة. فبرونو غيانيلا لم يكن معتاداً على الشعور بالذعر بصورة مقلقة كما هو الآن. منذ نعومة أظفاره علمته ظروف حياته أن السيطرة على النفس هي إحدى الخطوات المهمّة للنجاح. لقد أدرك أن على المرء أن يمسك بزمام أموره بنفسه كي يتمكن من إحكام السيطرة على حياته.

- ماذا تعني؟

- أعني..

قال ذلك وهو يقف ليسير عبر المطبخ المتواضع كنمر أطلق سراحه للتو. ثم تابع يقول: «لم يصلني منك بالتحديد أي معلومات عن عرّابي وعمّا يقوم به. أليس كذلك؟ في الواقع..».

وتوقف عن الكلام ليميل برأسه إلى إحدى الجهات مفكّراً: «.. لم أتلقَ منك أي اتصال أو أي معلومة عن جوزيف! مع إنني أوضحت لك تماماً يوم تم استخدامك أن تزويدي بالمعلومات عن عرّابي هو أهم جزء من الاتفاق!».

- هذا ليس عادلاً!

اجتاحتها موجة من الغضب وعدم التصديق ما جعل خدّاها يتوهجان

احمراراً بسبب اتهامه.

- أنا أعمل لدى جوزيف، ولا أعتقد... ولا أستطيع التفكير بأنك تتوقع مني أن أزوّدك بأخباره من دون علمه.

توقعت منه أن يتابع خطابه، لكن بدلاً من ذلك راح يسير بقلق جيئة وذهاباً في المطبخ. وفكرت كاتي أنها قد تنضم إلى جوزيف في المستشفى بسبب إصابتها بانهيار عصبي إذا ما استمر في القيام بذلك. إلا أنه قال فجأة: «كيف تبدو المستشفى؟»

أجفلها صوته وسبب لها يقظة مفاجئة في جهازها العصبي فقالت: «إنها جيدة جداً. برونو، لقد ذهبت إلى هناك هذا الصباح ولم يسمحوا لي برؤيته، لكنهم أخبروني أن وضعه مستقر».

- حسناً، هذا خبر جيد. كم تبعد من هنا؟

- حوالى أربعين دقيقة في السيارة، وهذا يتوقف على حركة السير في وسط المدينة. لقد قالوا لي إن بإمكاني الذهاب لرؤيته بعد الظهر.

- في هذه الحالة، سنغادر المنزل عند الرابعة والنصف بعد الظهر.

هزّت كاتي رأسها، وتساءلت إن كان هذا الوقت مناسباً لطرح السؤال الذي يعذّبها منذ اللحظة الأولى التي أخبرها فيها بطريقته المتعالية أنه قادم إلى هنا. والسؤال هو: كم يرغب في البقاء هنا بالتحديد؟

كان برونو قد اتجه نحو الباب حين تمكنت من استجماع قوتها لتسير بسرعة خلفه ثم عادت تسير على مهل عندما وصلت إلى القاعة. قالت بنبرة مشرقة: «إذن..».

حافظت على مسافة كافية بينهما، بينما انحنى برونو ليلتقط حقيبته المعدّة لليلة واحدة فقط. لم تكن تلك الحقيبة كبيرة ما جعلها تشعر بالاطمئنان. رفع برونو حاجبيه الداكنين وقد لاحظ لحاقها به.

- سوف.. سوف تمكث في الغرفة المعتادة، كما تعلم. إنها في أعلى السلم

إلى اليسار عند آخر الممر. لقد وضعت لك منشفة...

خطت خطوة إلى الأمام بتردّد: «الأمر هو..»

- هيا تكلمي كاتي.

- حسناً، الأمر هو... أعني أنا وماغي كنا نتساءل.. حسناً، كم من الوقت سترغب في البقاء هنا؟

تحوّلت نظرة الفضول التي ظهرت على وجهه إلى تقطيبة انزعاج، فسارعت تقول: «من المفيد لها حقاً أن تعلم بشأن.. حسناً، أنت تعلم أن عليها أن تحضر الطعام وأشياء من هذا القبيل».

شعرت بوجهها يزداد توهجاً أكثر فأكثر وهو يصغي إلى كلامها المتلعثم بصمت تام، ليقول بعدئذٍ: «لستما مضطرتين لإزعاج نفسيكما من أجلي».

واستدار مبتعداً ليسير باتجاه السلالم، بينما راحتا كاتي تراقبه وهي تدرك أنه لم يجبها على السؤال الذي تريد الإجابة عليه بقوة.

بشجاعة لم تعهدها في نفسها من قبل أسرعت وراءه على السلالم، لتصل إلى غرفته مقطوعة الأنفاس في الوقت الذي كان يرمي به الحقيبة على السرير. وسرعان ما نزع ربطة عنقه ليرميها فوق الحقيبة.

- ماذا بعد؟

سألها وهو يتنهد بنفاد صبر، ثم استدار نحوها هو يفتح أزرار قميصه.

أبقت كاتي نظراتها مركزّة بثبات على وجهه متجنبة النظر إلى جسمه ذي اللون البرونزي اللامع الذي بدأ ينكشف وهو يخلع قميصه.

- كل ما في الأمر..

تنحنحت وراحت تنظر إلى رأس حذائها البني المسطح الكعبين والذي يشبه «الموكاسان» وتابعت تقول: «إذا كنت ترغب في البقاء.. أود أن أعرف ما الذي تتوقع مني أن أقوم به».

الصمت المطبق الذي تلا سؤالها المتلعثم جعلها تدرك برعب المعنى

المزدوج الذي يمكن أن يفهم منه بوضوح، فشعرت بموجة من الخزي تجتاحها وسارعت تقول: «أعني بالنسبة لوجبات الطعام؛ لقد اعتدنا أنا وجوزيف على تناول الفطور والغداء معاً. أنا..»

- لِمَ تفعلين ذلك؟

- أستميحك عذراً؟

شعرت بالحرج لرؤيته وقد نزع قميصه بالكامل عن جسمه.

- لِمَ تصرين على القيام بدور المساعِدة التي تتقاضى أجراً؟ ولِمَ تقفين هكذا وكأنكِ تتمنين لو تنشق الأرض فتبتلعك؟

شبكت كاتي ذراعيها أمام صدرها وأجبرت نفسها على ألاّ تشعر بالجبن أمام حضوره الذي يشعرها بالاختناق، وقالت: «لأنني أتقاضى أجراً».

ردّ برونو بسرعة وقد بدا عليه أنه فوجيء بذلك: «هذا الأمر شكلي فقط. لكنك أيضاً رفيقة جوزيف، ومن الواضح أنك ذات أهمية كبيرة في حياته. وعلى الرغم من اعتراضي المبدئي.. يبدو أنك تجاوزت توقعاتي. وبما أنك غير مناسبة كخادمة، توقفي عن لعب ذلك الدور. لا حاجة لأن تشغلي نفسك بإعداد الطعام لي أثناء إقامتي هنا».

وأكمل كلامه بالنبرة المتصلبة نفسها ما جعلها تشعر بوخزة من الألم وهي تركز انتباهها عليه.

- أنا قادر تماماً على الاعتناء بنفسي.

قالت بنبرة صادقة: «سيشعر جوزيف بالرعب إذا ما فكر أنك... سوف تتخلى عن عملك من أجله».

لكن ما لم تقله هو أن جوزيف يخشى هذا الرجل الموهوب صاحب الشخصية القوية، والذي رباه منذ سن المراهقة.

- سوف يصاب بالرعب أيضاً إذا ما فكّر أنني لا أستطيع قضاء بعض الوقت معه عندما يحتاج إلي. والآن، هل هناك شي آخر؟

شعرت كاتي بالدهشة من تصرفاته. لا شك أنه شخص حاد الذكاء وإلاّ لما استطاع تحقيق كل ذلك النجاح والوصول إلى تلك السلطة في حياته. ومع ذلك فهو من جهة، ينتقدها لأنها تتصرف كالخادمة، ومن جهة أخرى هو يعاملها كذلك.

غمغمت: «كلا».

إن معرفة كاتي بالرجال محدودة جداً. فهي في الثالثة والعشرين من عمرها وليس لديها سوى صديقين فقط. إنهما شابان لطيفان وهي تكن لهما عاطفة كبيرة. وهي لا تزال على اتصال بهما معاً ما يدل على عمق صداقتها بهما. لا يمكنها أن تتخيل أن أحدهما قد ينزع ملابسه ببساطة أمام امرأة لا يعرفها.

قال برونو بنبرة صوت توحي لها بالانصراف: «حسناً. في هذه الحالة، سأراك في الطابق السفلي عند الساعة الرابعة والنصف تماماً».

ثم استدار بعيداً عن تلك المرأة المنكمشة على نفسها، ليلاحظ بعد قليل أنها غادرت الغرفة عند سماعه صوت الباب وهو ينغلق بهدوء وراءها. أثناء ثرثرتها المزعجة والمثيرة للغضب، أثارت تلك المرأة نقطة هامة كان برونو قد فكر بها مطوّلاً أثناء رحلته: عمله!

لم يترك له عمله أي مجال كي يفكر بزيارة عرّابه زيارة قصيرة. جوزيف هو الشخص الوحيد الذي يهمه في هذا العالم، وقد آلمه أن يدرك كم كان الوقت الذي قضاه برفقته السنة الماضية قصيراً. يمكنه أن يعدّ زياراته له على أصابع اليد الواحدة.. مجرد زيارات سريعة وذلك عندما يتمكن من الإفلات من دوامة العمل التي تسيطر على حياته. إذا حصل أي مكروه لعرّابه الآن ومات لا سمح الله، لن يسامح برونو نفسه أبداً.

يمكنه أن يستخدم شقته في لندن ويعمل من مكاتب الشركة هناك، لكن ذلك يتطلب القيام برحلات يومية إلى المدينة. راح يفكر بمشكلته فيما هو يستحم. ومع أنه كان يعمل بشكل متواصل خلال النهار، فإن فكرة أخذ قسط من النوم قبل المغادرة لم تعجبه. في النهاية، النوم هو أمر لا بد منه، لكنه

يشكل مضيعة للوقت. أثناء تبديل ملابسه وكتابة بعض الرسائل الإلكترونية كان قد وجد حلاً لمشكلته. إنه ليس الحل الأمثل لكنه لا يملك بديلاً.. هذا ما فكر به وهو ينظر إلى المرأة التي تنتقل في القاعة بانتظاره، وذلك بعد أن خرج من غرفته بعد مرور ساعة من الوقت.

ما إن ارتدى برونو سترته حتى سارعت كاتي تقول: «أخرج جيمبو الرانج روفر من المرآب».

إنه يوم مشمس من شهر أيار، لكن برودة الجو تلسع كل من يخرج مرتدياً قميصاً قصير الكمين. وفكرت كاتي بأسى أن برونو يرتدي ثياباً مناسبة تماماً لهذا الطقس. فهو يرتدي بنطلوناً داكن اللون مع قميص مناسب وسترة من القماش السويدي تبدو مستهلكة تماماً مع أنها حديثة الطراز ولا شك أنها باهظة الثمن. كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟ أن يبدو بالغ الثراء وبسيط الملبس في الوقت عينه..

فجأة شعرت برغبة بإلقاء نظرة على ملابسها؛ كانت ترتدي تنورة طويلة رمادية اللون وكنزة واسعة بلون القشطة مع سترة غير أنيقة من اللون الرمادي أيضاً. لمَ يجعلها هذا الرجل تشعر بالارتباك؟ لسنة خلت، وهذه الثياب تشعرها بالارتياح، إنها ملابس عملية وتعطيها الثقة بنفسها.

توقف برونو قليلاً وظهر الاستغراب على وجهه وهو يسأل: «من هو جيمبو؟»

أومأت كاتي برأسها قائلة: «إنه جيم باركز، الرجل الذي يعتني بالحديقة ويقوم بأعمال كثيرة حول المنزل. لقد قابلته من قبل».

هو لا يذكر أنه رآه من قبل لكنه قال: «سأعتمد على كلامك بشأنه».

– على أي حال، السيارة تنتظرنا في الخارج، سأتولى أنا القيادة إن كنت ترغب بذلك.

هزّ رأسه موافقاً ولم يعجبها ذلك مع أنها سائقة ماهرة. إنها معتادة على

قيادة سيارة جوزيف، فهي تذهب دائماً إلى البلدة، فهي تزورها مرة في الأسبوع للتسوق وذلك بعد ظهر يوم إجازتها. كما أنها تأخذ جوزيف إلى أي مكان يريده، أي إلى أمكنة غير بعيدة، لكنها اعتادت على تلك السيارة القديمة، بالإضافة إلى أنها قادت السيارة عدة مرات إلى كورن وول لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع والديها.

لا شيء من ذلك ساعدها لتبدو أقل توتراً وهي تدير المحرّك لتبدأ السير على الطريق فيما عينا برونو السوداوان الحادتا النظرات تراقبان كل حركة من حركاتها. بدا الأمر وكأنها تخضع لامتحان لنيل إجازة في قيادة السيارات مرة أخرى، إلا أن الأمر كان أسوأ هذه المرة.

أطلقت تنهيدة ارتياح طويلة لرؤية المستشفى من مسافة قريبة، وفي تلك اللحظة بالذات قام برونو برمي مفاجأة في وجهها.

- فكرت بما قلته لي بشأن التخلي عن عملي، أوافقك الرأي بأن جوزيف سيشعر بالحزن إذا ما اعتقد بأنني أجبر نفسي على البقاء هنا والتلهي بأمور تافهة، لأنني أشعر بالأسى لأجله.

نظرت كاتي إليه خلسة، ثم أعادت نظرها بسرعة إلى الطريق المزدحم التي تؤدي إلى منعطف صغير تتزاحم فيه أنوار السيارات، قبل أن يصلا إلى مدخل المستشفى. فاجأها أن يكون قد فكر فعلاً بشيء قالته، فما بالك وهو يوافقها الرأي بشأنه.

- ذلك ما سيحصل له فعلاً.

وتنهدت بارتياح وهي تفكر بهذا الاعتراف من قبله، وتوقعت أن يكون الخبر التالي هو قراره بالمغادرة في وقت وشيك. لكنه يريد منها قبل ذلك أن تقول شيئاً يخفف من شعوره بالذنب.

- إنه فخور جداً بك، كما تعلم. وسوف يشعر بالحزن إذا ما أدرك أن شعورك بالأسى من أجله جعلك... حسناً.. تهمل عملك.

وقطبت كاتي جبينها وهي تحاول أن تتخيل تلك الحياة التي يأتي كل شيء وكل شخص فيها، في الدرجة الثانية بعد العمل. ثم تابعت تقول: «لديك شقة في لندن، أليس كذلك؟»

قال برونو بنبرة غاضبة: «بالطبع لدي شقة. انظري إلى حالة موقف السيارات هذا، قد نبقى هناك لساعات ونحن نحاول إيجاد مكان للسيارة. كان عليك أن تخبريني عن صعوبة إيجاد موقف للسيارة كي أتصل بسيارة أجرة لتقلنا إلى هنا».

غمغمت كاتي: «سنجد مكاناً لإيقافها».

والتمعت عيناها ما إن رأت أحدهم يخرج بسيارته ببطء من أحد المواقف في الصف المواجه لها. اقتربت بالسيارة بحذر إلى الأمام، كي تتمكن من ركنها في المكان المناسب. ثم قالت بنبرة ملؤها الرضى: «هاك، ألم أقل لك إننا سنحظى بمكان؟».

أجاب برونو في محاولة للتقليل من شأن انتصارها الصغير هذا: «كنت أخبرك عن... المأزق.. الذي أواجهه في العمل».

جعلها كلامه تشعر بالتفاهة، وقالت: «آه، نعم. ربما يمكننا التحدث عن ذلك بعد رؤية عرابك».

شعرت للتو بأنها استعادت روحها المعنوية، لمجرد التفكير برؤية جوزيف. فقد أصبح هذا الأخير يعني لها الكثير في فترة لم تتجاوز الثمانية عشر شهراً، ولم يكن ذلك يفاجئها. فهي، كطفلة وحيدة، قد اعتادت على التعامل مع الأشخاص الأكبر منها سناً، وجوزيف هو شخص مميّز بشكل خاص، فهو يجمع اللطف والتهذيب إلى الذكاء. وقد أعجبها ذلك منه منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، فهي تشعر معه أنها في منزلها، سواء تحدّثا في مواضيع جدية، أو جلسا صامتين في نهاية السهرة قبل أن يذهب إلى سريره.

أملت أن يسمح لهما برؤية جوزيف الآن فيستطيعان التحدث إليه قليلاً،

حيث يمكنها أن تجلس برفقة الرجلين بصمت وهدوء، بدلاً من أن تضطر إلى الإجابة على أسئلة هذا الرجل الذي يسير الآن بقربها. وفجأة قال برونو بنبرة عنيفة: «أظن أننا سنتحدث عن ذلك الآن».

ثم دفع الباب الزجاجي أمامه وتنحى جانباً ليسمح لها بالمرور قبله وهو يقول: «أريد أن أركز تفكيري على جوزيف عندما أراه، بعد أن أكون قد انتهيت من التفكير بشؤون العمل بشكل مرضٍ. في الواقع...»

ونظر حوله قبل أن يتابع: «.. لا بد من وجود مقهى هنا أو ما شابه ذلك. سأقول كل ما أحتاج إلى قوله في خمس عشرة دقيقة، وبعدئذٍ نستطيع الذهاب لرؤية جوزيف».

قاومت كايت ميلها إلى عدم الترحيب بالفكرة، لكنها أدركت أن من الأفضل لها ألاّ تعبّر عن وجهة نظر أخرى، لذا اقترحت أن يتوجها إلى المقهى الذي يقع في الطابق السفلي. بدا جو المقهى مزعجاً تماماً، لكن ذلك لم يمنعهما من الجلوس هناك. على أي حال، سوف تقوم بما عليها أن تقوم به؛ سوف تهزّ رأسها موافقة عندما يخبرها برونو أنه سيذهب إلى لندن ليتمكن من متابعة أعماله، وسوف توافقه الرأي حين يقول إن هذا هو الحل الوحيد أمامه.

سألها برونو: «ماذا ستطلبين؟»

وسرعان ما وضع يده على أحدى الصواني البنية اللون. وتساءلت كاتي لما تجعلها الأسئلة المباشرة التي يطرحها عليها برونو تتلعثم، مع أن هذا لا يحدث لها مع أي شخص آخر. إلا أنها أدركت السبب في ذلك عندما فكرت بالأمر؛ فهي تشعر في داخلها بالعداوة نحوه وذلك يجعلها تظهر أسوأ ما لديها تجاهه. وسمعته يقول: «مرحباً!»

وذلك بعد أن استدار أخيراً لينظر إليها. وللحظة، التقت عيونهما، وشعرت بالحرارة تجتاح كيانها.

- هل ما زلت هنا، أم أنك قررت أن تسافري نهائياً نحو الغيوم؟

- آسفة.

قالت ذلك قبل أن ترمش بعينيها وتنظر إلى الناحية الأخرى قائلة: «سأحتسي فنجاناً من القهوة».

- ألا تريدين طعاماً؟

- كلا، شكراً لك.

أظلمت عيناه السوداوان وهو ينظر إليها وكأنه يقلل من شأنها مرة أخرى، لتستقر نظراته أخيراً على وجهها المتوهج: «ما هي كمية الطعام التي تأكلينها؟ هل يتأكد جوزيف من أنك تأكلين بشكل جيد؟ فقد يكون عديم الانتباه عندما يتعلق الأمر بالأمور الأساسية في الحياة، كالطعام مثلاً».

كان برونو قد وصل في تلك اللحظة أمام آلة صنع القهوة، فضغط على الأزرار للحصول على فنجانين من القهوة. بينما أبدت كاتي استغرابها بسبب هذا التحوّل المفاجيء في حديثه، فنظرت بضيق إلى إحدى الطاولات المنعزلة وهي تقول: «بالطبع، أنا آكل بشكل جيد».

- تبدين ككومة من العظام تحت هذه الثياب.

في لحظة واحدة، جعلها تتكمش على نفسها وتدرك كم يبدو جسمها هزيلاً. منذ بلغت الرابعة عشرة من عمرها بدأت كاتي تلاحظ كيف تبدّلت أجسام صديقاتها فغدت ملفتة لأنظار الشبان من حولهن. أما هي، فظل جسمها نحيلاً، وقد اعتادت على إخفائه تحت ثياب فضفاضة تغطيه بأكمله. وغدا هذا الطراز من الثياب هو المفضل لديها. ومع أن والديها كانا يكرران لها دائماً أنها جميلة، لكنها لم تصدقهما مطلقاً. فوالداها يحبانها كثيراً، وسوف يريانها جميلة حتى لو كانت في غاية القبح.

وفي ذلك الصمت الذي ساد بينهما، تابع برونو يقول دون أي اعتبار لمشاعرها: «أنت بحاجة إلى تغذية نفسك جيداً».

- لماذا؟ هل تتوقع مني أن أخوض مباراة في المصارعة؟

قالت ذلك بنبرة قوية، ما جعله ينظر إليها بما يشبه الاهتمام. رفع حاجبيه الداكنين بإعجاب واضح بنبرة صوتها القوية المفاجئة، ثم أجابها بلطف: «لا أقصد ذلك. لكنك تخفين جسمك دوماً تحت هذه الثياب الفضفاضة، التي تبدو مناسبة أكثر للمربيات».

إلا أن سخريتها شدّت انتباهه، وفجأة، أدرك أن الخطط التي وضعها بشأن العمل لن تكون عديمة الفائدة. فقال: «الآن سنحصل على قهوتنا، وسأخبرك بالتحديد ما قررته بشأن عملي. لمَ لا تحجزين لنا طاولة؟.. من الأفضل أن تكون نظيفة... سأنضم إليك بَعد أن أدفع ثمن هذه الأشياء».

راقب كاتي بدون اهتمام وهي تسير عبر المقهى إلى إحدى الطاولات في الناحية الخلفية، لكن أفكاره كانت تتسارع بقوة. لا يعتقد برونو أنها ستعترض على ما يفكر فيه. وبصراحة، ليس لديها خيار آخر في هذه المسألة...

على أي حال، مشاكله لا تقتصر على العمل فقط. فمع أن ايزابيل هيتون سميث، المرأة التي يقيم علاقة معها هذه الأيام، هي مثال للتفهم حين يتعلق الأمر بسفره إلى الخارج، إلاّ أنه يشك بأنها ستكون كذلك إذا ما قرر البقاء في الريف، أي على مسافة لا تبعد عنها سوى ساعة ونصف وفي البلد نفسه. فلطالما أسمعته ملاحظات عن وجوب استقراره في مكان ما، وهو يتقبل ملاحظاتها تلك بطيبة خاطر نظراً للعلاقة الجيدة بينهما.

أدرك برونو من ملاحظاتها أن عليه اتخاذ قرار حازم بشأن الارتباط والزواج، لكن، لسبب ما، لم يبد له أي وقت مناسباً لذلك، لذا سمح بأن يستمر الوضع على حاله. إلا أنه قد يفكر بالأمر جدياً الآن بسبب مرض جوزيف، وكأن القدر ينبئه بأن الوقت قد حان للاستقرار.

نظر إلى حيث توجهت كاتي، فإذا هي تنظف سطح الطاولة بيدها من بعض البقايا، فقرر أن يتعامل مع كل مسألة على حدى؛ العمل أولاً والصديقة في ما بعد.

٢ - سكرتيرة رغماً عنها

- حسناً!

جلس برونو وعيناه السوداوان تلمعان بقوة وهو ينظر إلى الطاولة القذرة بانزعاج واضح، ما أجبر كاتي على تذكيره بأن مقهى المستشفى لا يمكنه أن يجاري بأي حال مطعماً من فئة الخمسة نجوم.

ما يحير كاتي هو أن لطف عرابه ورقة إحساسه لم يتمكنا من تغييره. لكنها تعلم أن الأحداث التي مرت به في حياته الأسرية لم تكن عادية، فقد توفي والده وهو في الثالثة من عمره، ثم توفيت أمه بعد ذلك بعشر سنوات. لحسن حظه أنه كان قد أرسل خلال هذا الوقت إلى مدرسة داخلية وهو لا يزال طفلاً صغيراً، ما وفر عليه عناء الانسلاخ عن المنزل الوحيد الذي عرفه بعد أن أصبح كبيراً. أما علاقته بزوجي أمه فلم تكن بأحسن حال، إذا إن أياً منهما، وبحسب ما سمعته كاتي، لم يكن مهتماً لأمر ذلك الصبي الفوضوي الثائر والذي يتقد ذكاء.

كان في الثالثة عشرة من عمره حين تولى جوزيف رعايته، وربما تكون شخصيته قد تشكلت في ذلك الوقت. كان ثرياً يتيماً، والفضل في ذلك يعود إلى ميراثه من أمه كما بدا ذكياً بشكل لا يصدق. وكما يقول عرابه، فقد جعله ذلك يؤمن بأن العالم كله تحت سيطرته.

من خلال قراءتها بين سطور حياته، تمكنت كاتي كاين من تخيّل ذلك المراهق الوسيم، الذي يفوق معظم أساتذته ذكاء، ويتحلى بثقة بالنفس عالية، ومع ذلك فهو يشعر بالحذر من العلاقات الإنسانية، ولطالما حاولت

أن تدعم ثقتها بنفسها في حضوره بالتفكير بأنه يشعر بالوحدة تحت ذلك القناع من السلطة المالية والنجاح المتألق. ومع ذلك، فإن خطتها كانت تبوء بالفشل، كما هي الآن تماماً وهي تنظر إلى ملامحه الفاتنة وهو يأكل الفطيرة المحلاّة. وإذا بها تقول: «كنت تود أن تخبرني.. ما الذي قررت أن تفعله، بشأن العمل؟»

- حسناً، لن أعود إلى نيويورك، على الأقل، ليس قبل أن يستعيد جوزيف صحته وينهض على قدميه ثانية. وأرى أن الحل الأمثل هو أن أركز على عملي من مكتبي في لندن وأن أبقى في شقتي في تشلسي. لكن هذا بحد ذاته سيحتاج إلى الكثير من الوقت للتنقل بين تشيلسي ومنزل جوزريف لأنني سآتي دوماً إلى هنا لرؤيته. لذلك قررت أن الحل الوحيد هو أن أقيم مكتباً في المنزل وأعمل من هناك.

- المنزل.. أي منزل؟

وتساءلت كاتي إن كان قد فاتها أن تلتقط من حديثه بعض المعلومات. وبدت نبرة صوت برونو بالغة الضيق وهو يسألها: «وعن أي منزل تظنين أنني أتحدث؟»

ركّز نظرات عينيه الرائعتين على وجهها الذي بدا عليه الذهول وراح يراقبها وهي تستجمع أفكارها. إلى أن قالت بنبرة حادّة: «أنت ستعمل في منزل جوزيف!»

- هذا صحيح. والآن اشربي القهوة، فلا يمكننا قضاء النهار هنا ونحن نبحث في هذا الأمر.

اتسعت عيناها حتى بدتا كصحنين واسعين وهي تنظر إليه. نعم.. بالطبع، لقد توقعت أن يبقى في الجوار لعدة أيام، لمدة أسبوع على الأكثر. وسبق لها أن قررت، إذا حصل ذلك فعلاً، أن تتعمد تجنبه، وستنجح بذلك بسهولة. فذلك المنزل كبير، ومع قليل من التخطيط المسبق لن تحتاج إلى رؤيته أبداً. لكن بقاءه لوقت غير محدد..!

- بالإضافة إلى ذلك..

وأدار برونو ساعده ليتمكن من النظر إلى ساعته ثم تابع يقول: «سوف تعملين معي. ومع أنه ليس الحل المثالي، لأنني أفضل شخصاً أكثر خبرة في عالم الأعمال، لكنك الآن متوفرة، وهذا ما عليك القيام به. في الواقع، لا أستطيع أن أطلب من سكرتيرتي الخاصة أن تسلخ نفسها عن محيطها وأن تنتقل إلى هنا لتساعدني، لا سيما وأنها متزوجة ولديها ولدان علي أن آخذهما بعين الاعتبار».

هذا هو الأمر إذن! لو لم يكن لدى سكرتيرته تلك الارتباطات العائلية، لما تردّد مطلقاً باستدعائها أينما كانت.

- في الواقع، لا داعي لأن تظهري كالمصعوقة، كاتي، فأنا لا أعض.

ثم وقف، فادركت كاتي أن النقاش قد انتهى بالنسبة إليه. مع العلم أن لم يكن هناك نقاش من الأساس. لقد أعلمها بما يريد منها أن تقوم به وواجبها يقضي الآن بأن تبقى هادئة ومطيعة.

راحت تسير متعثرة خلفه، تراقبه ببلاهة وهو يجذب بسحره الممرضات اللواتي يقمن بواجباتهن، فيما هو يتجه عبر الممر الذي يصل إلى غرفة جوزيف. كل ما استطاعت أن تفكر به هو ذلك الكابوس القادم نحوها بسبب اقتراحه.

تبيّن لها أن سعادتها لرؤية جوزيف لم تكن مكتملة بسبب إحساسها بالمقصلة المعلقة فوق عنقها. بالكاد تمكنت من التخلص من ضيقها بعد دقائق عدة وهي تمسك بيد جوزيف، بينما راح برونو يبحث موضوع عملها معه بوضوح وأمام رئيسها المتعب، مع أن ذلك برأيها، مخالف لأصول التصرف نظراً لوجودهما بالقرب من سرير المريض. فبدأت كاتي تعترض بتردد: «لا أعتقد حقاً أن الوقت...».

لكن برونو رمقها بنظرة أسكتتها وقال: «أنا، بكل بساطة، أود أن

أطمئن عرّابي إلى أن بإمكانه الاعتماد علي، فأنا سأبقى في الجوار خلال الفترة القادمة».

فقال جوزيف مبدياً اعتراضه: «ليس عليك أن تعيق برنامج عملك».

لكنه تابع يقول بنبرة ضعيفة مخيباً أملها: «مع ذلك.. بالطبع، سيسعدني جداً أن أعلم أنك ستكون في المنزل.. تهتم به، كما يقال، وتهتم كذلك بالغالية كاتي..».

حاولت كاتي ألاّ تغمغم إثر حديثه هذا، وتمكنت من القول بثقة كبيرة بالنفس وهي تصر على إبعاد نظراتها عن نظرات برونو الحادة: «جوزيف، أنا لست بحاجة إلى من يهتم بي، فقد أوشكت على بلوغ الرابعة والعشرين من عمري! وأعتقد أن من المنصف القول بأنني أستطيع الاهتمام بنفسي تماماً. وليس عليك أن تخشى من انهيار المنزل فوق رأسي..»

ثم ضغطت قليلاً على يده تشجعه: «.. كما أنك ستعود إلى المنزل في أقرب فرصة ممكنة، وقبل الوقت الذي تتصوّره».

- هل هذا ما قاله الطبيب؟

- حسناً. كلا، ليس بالتحديد، فنحن لم نتحدث إلى أي طبيب حتى الآن..

قاطعها برونو وقد ظهر العبوس على وجهه: «في الواقع، لا يمكنك أن تجد طبيباً حين تحتاج إليه. من الواضح أن الطبيب لن يقوم بجولته المعتادة قبل ساعة من الآن. ولقد أعطيت الممرضة تعليمات واضحة بأنني أريد رؤيته قبل أن يبدأ جولته».

التقت عينا جوزيف بعيني كاتي لبرهة من التفاهم المتبادل. وتساءلت إن كان برونو قد فكر للحظة أن الطبيب المناوب لن يقبل تلقي الأوامر من أقارب أحد مرضاه..

سوف يكون درساً مفيداً له أن يجد نفسه في آخر القائمة عندما يصل طبيب

جوزيف. ووجدت كاتي نفسها مأخوذة بحلم مفرح من أحلام اليقظة، حيث ترى برونو مجبراً على الانتظار عند آخر الصف الذي يقف في الممر، بينما يقف الطبيب ذو الشخصية المسيطرة التي تشبه شخصية برونو على رأس ذلك الصف وهو يأخذ كامل وقته بينما يقف برونو في الخلف محاولاً لفت انتباهه وهو يغلي من الغضب..

أعادها صوت برونو إلى الواقع واكتشفت أنها كانت تبتسم حين سألها باقتضاب متخلياً، كعادته دوماً، عن كل قواعد اللطافة واللياقة: «هل أنت معنا؟»

استقامت كاتي في جلستها: «كنت أفكر فقط..».

- حسناً، من الأفضل أن نخرج، فجوزيف يحتاج إلى الراحة.

ونظرا معاً إلى الرجل العجوز الذي كان قد أغمض عينيه. وهمست كاتي وقد شعرت بألم مفاجىء: «يبدو ضعيفاً جداً».

واستدارت نحو برونو وهي تشعر بالتأثر لتصطدم عيناها بعينيه السوداوين الباردين النظرات.

- ماذا كنت تتوقعين؟

وقف وسار نحو الباب لينتظرها وقد بدا عليه الشعور بالضيق، ثم تابع يقول بصوت خشن: «لقد تعرض لأزمة قلبية. هل كنت تتوقعين رؤيته وهو يقود العربات هنا؟»

- لا، ولكن..

تابع برونو تقدمه نحو الباب، ثم أفسح لها المجال لتمر أمامه وهو يتابع قائلاً: «ولا أظن أن من المستحسن أن تجعليه يشعر بأن حالته سيئة وبأنه لن يعود إلى سابق عهده»

همست كاتي باعتراض: «لم أفعل ذلك. أقصد.. لم يستطع سماع ما قلته.. ولم يكن ينظر إليّ. في الواقع، كان قد نام! بالطبع أنا لا أريده أن يظن

أنه.. حسناً..»

- أين هو ذلك الطبيب؟

راح برونو يحدّق إلى الممر وكأنه يشعر أنه ليس في مكانه الصحيح، بل كأنه سمكة وجدت نفسها في أعلى الشجرة. رأت كاتي الممرضات القلقات ينظرن إليه باهتمام وهو يسير في المكان وقد علا التجهم وجهه، فقالت بتردد: «لا أظن أن ساعة قد مرّت على وجودنا هنا بعد، ربما علينا فقط أن نجلس وننتظر».

نظر برونو إليها وكأن فكرة الجلوس والانتظار، لأي شيء أو لأي شخص كان، فكرة غريبة عنه ولا يستطيع تقبلها. قالت كاتي بحدّة: «الوقوف هنا لن يجعل الطبيب المختص يظهر بسرعة أكبر. كما أننا نقف في الطريق».

وقبل أن يتسنى له الوقت ليرد عليها بإحدى إجاباته القاسية، سارت مبتعدة نحو إحدى الممرضات اللواتي يجلسن خلف المكاتب، وسألتها بلطف إن كان بإمكانها أن تعلمهما بوصول الطبيب كي يتمكنا من التحدث إليه في أسرع وقت ممكن. وتمتمت بصوت خفيض: «ابنه بالعمادة قلق جداً عليه».

وعلى الفور شعرت بأنفاس برونو على رقبتها وهو يزفر بقوة كبيرة، ثم يقاطعها قائلاً بتهذيب فائق: «من الطبيعي أن يشعر ابنه بالعمادة بالقلق، ويحق له الحصول على أجوبة على بعض تساؤلاته».

وتساءلت كاتي كيف يمكنه أن يبدو غاية في القسوة عندما يرغب بذلك. لا بد أن الممرضة قد ساورها الإحساس نفسه، لأن ملاحظته الواضحة والقاسية قابلها هزة مليئة بالتوتر من رأس الممرضة.

- لو أنني أترك الناس كي يجلسوا وينتظروا طيلة اليوم، لما تمكنت من النجاح في دنيا الأعمال.

كان هذا أول ما قاله حين جلسا على المقاعد الوجودة في الممر. ثم تابع يقول بضيق: «علي أن أتحدث إلى ذلك الطبيب ما إن يظهر على الفور.

فالتسكع هنا لن يعطيني الإجابات التي أحتاج إليها!».

رمقته كاتي بنظرة جانبية، وأدركت بثقة كبيرة أنه يشعر بالقلق، بل إنه يشعر باليأس لشدة قلقه. والطريقة الوحيدة التي تسمح له بتحمّل هذا الوضع هي في أن يصبح أكثر عدوانية وقوة مما هو عليه في الواقع. شعرت بتعاطف كبير معه، فوضعت يدها الصغيرة بصورة تلقائية على معصمه، وإذا به يحدّق بها بانزعاج واضح ما جعلها تبعد يدها على الفور.

- آه، وفّري علي مواساتك كاتي!

وسمعت نفسها تسأله: «هل تخليت يوماً عن حذرك هذا برونو؟»

لكنها أدركت على الفور أنها تخطت حدودها، فرجل مثله لا يشجع أبداً على طرح اسئلة شخصية كهذه. ومن الواضح أن طرحها لمثل هذه الأسئلة سوف يغضبه. وعلى الفور قالت معتذرة: «أنا آسفة، لا علاقة لي بذلك. فكلانا يشعر بالقلق».

وتوقعت منه أن يقول شيئاً يملأ ذلك الصمت الذي تلا كلامها، إلا أنه لم يفعل. فأطلقت تنهيدة صغيرة، وهي تفكر أنه بلا شك قد محا ملاحظتها الصغيرة من ذهنه على الفور. إلا أنها فوجئت به يقول بصوت خفيض شارد: «لم يصب جوزيف بالمرض يوماً، أعني بمرض خطير. إنه أمر غريب... لكن لا أحد يتخيّل أن الأشخاص الذين يحبهم قد يصابون بالمرض ويموتون، بل يتخيّل.. بغباء.. أنهم، بطريقة ما، سيبقون أحياء إلى الأبد».

اكتشفت كاتي أنها كانت تجلس على حافة مقعدها وأنها حبست أنفاسها. شعرت بفيض من العاطفة نحوه بسبب هذا الاعتراف غير المتوقع، لكنها أدركت أن من الأفضل لها ألاّ تعبّر عن عاطفتها تلك. ستمر لحظة ضعفه ويعود بعدئذٍ إلى ما كان عليه. تردّدت قليلاً ثم شجعت نفسها لتقول: «أتساءل إن كنا نستطيع أن نبحث مسألة ذلك العمل، برونو..»

مال برونو بجسمه نحوها، وهكذا أصبح باستطاعته أن ينظر إليها مباشرة

بعينين ضيقتين.

وقال بنبرة معتدلة: «ماذا هناك لتتحدث عنه؟»

قالت متلعثمة: «أنا.. أنا لا أملك حقاً المهارة الكافية كي أعمل لديك. أعني، أنني لم أعمل قط كسكرتيرة خاصة، أو في أي عمل...»

قطب جبينه وقاطعها قائلاً: «أنت تساعدين جوزيف في كتابة مذكراته، أليس كذلك؟»

- حسناً، نعم، ولكن..

- صحّحي لي إذا كنت مخطئاً؛ عملك هذا يتطلب على الأقل معرفة بالأمور العادية، كالقدرة على الطباعة.

- حسناً. نعم، أنا أجيد الطباعة، لكن..

- كنت أظن أنك خضعت إلى دورة تدريبية.

صحّحت له كاتي بسرعة: «لقد كانت دورة قصيرة جداً. أعني.. عملت كمربية أطفال لمدة أربع سنوات. وعندما قرّر آل هاريسون أن ينتقلوا إلى خارج البلاد ساعدوني في الحصول على دورة سريعة في الطباعة لمدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر. وهكذا تمكنت من مساعدة جوزيف في طباعة مذكراته».

قطب برونو جبينه وسألها: «ولمَ فعلوا ذلك؟»

- آه، لأنهم أحبوني. كما تعلم، أنا ما زلت على اتصال بهم.

- قرّروا أن يرسلوك إلى معهد للحصول على دورة في مجال السكريتاريا، لأنهم أحبوك! لست أفهم كاتي.

- حسناً. سبق أن أخبرتك بأنني أردت الابتعاد عن عملي كمربية.

ثم تابعت بإصرار: «هذا لا يعني أنني لم أتمتع بكل دقيقة مرت معي أثناء ذلك العمل، فلقد كنت أعتني بطفلين رائعين. وفي الحقيقة ما كنت لأحلم ببداية حياة عملية أفضل من هذه في لندن، فأفراد عائلة هاريسون أرباب عمل رائعين.. أقصد، أن جوزيف هو كذلك أيضاً. في الواقع أشعر أنني محظوظة

جداً..»

هز برونو رأسه بتسلية لا تخلو من الدهشة: «كاتي، إلى أين سيوصلنا هذا الحديث؟ أنا لم أسألك عن تاريخ عملك بالتفصيل، كل ما أريد معرفته ببساطة هو لماذا تعترضين على العمل لدي».

- حسناً.. كنت أقول إن العمل على كتابة مذكرات جوزيف ليس عمل سكرتيرة حقيقية في الواقع.

في غضون دقيقة سيقول لها مرة أخرى إنه لم يعد يفهم ما تقوله.. يمكنها أن ترى ذلك في ملامح وجهه. فهو يريدها أن تعطيه جواباً محدداً لا أن تضلله بأحاديث طويلة لا نفع منها. فتابعت تقول: «مع جوزيف، أقوم بالطباعة لكن ليس هناك الكثير من العمل. وغالباً ما أتلقى الإملاء ببطء شديد. وعندما يذهب جوزيف إلى النوم في فترة بعد الظهر أقوم بالطباعة، وببطء شديد أيضاً».

وشعرت أنها مضطرة إلى توضيح الصورة تماماً فتابعت موضحة: «جوزيف لا يعمل بسرعة شديدة، برونو».

ابتسم برونو وقد ظهرت التسلية على ملامحه، ووجدت كايت نفسها مسمّرة أكثر فأكثر بسبب تلك الابتسامة فقالت ببلادة: «لن أتمكن من مجاراتك في العمل، وأنا لا أتوقع أن تتحلى بالصبر لتتحمّل أخطائي، فأنا أرتكب الكثير من الأخطاء وأقضي الكثير من الوقت في تصحيحها».

قررت ألاّ تدع لديه مجالاً للشك بعدم صلاحيتها للعمل لديه، فعادت تقول: «في الواقع، تصحيح أخطائي يستغرق مني الكثير من الوقت، وكذلك الأمر مع طباعتي. كما أنني لست ماهرة في التعامل مع الكومبيوتر، وجوزيف لا يمانع في ذلك لأنه هو نفسه لا يجيد التعامل مع الكومبيوتر».

قال لها برونو مشجعاً: «يجب أن تتحلي بالمزيد من الثقة بالنفس، كما أن استعمال الكومبيوتر هو مسألة تمرين فقط».

قالت نافية كلامه: «أنا أتمتع بثقة كبيرة بالنفس، لكن ليس عندما يتعلق الأمر بالتكنولوجيا. يمكنك أن تستخدم موظفة لمدة محدودة من أي وكالة توظيف في البلدة. هناك الكثير من هذه الوكالات في الجوار. فتحصل على سكرتيرة تملك الخبرة المهنية التي سبق أن تحدثت عنها».

ضاقت عينا برونو وهو ينظر إليها قائلاً: «وما الذي ستفعلينه أنت طيلة النهار؟ ففي النهاية، أنت ستحصلين على أجرك. وبما أن جوزيف في المستشفى، ليس لديك ما تفعلينه، أليس كذلك؟ عليك أن تفكري بالأمر كتحدٍ يملأ ساعات الفراغ الطويلة التي قد تمضينها في ذلك المنزل الفارغ».

تحدٍ؟ من يستطيع النظر إلى شيء يرعبه وكأنه تحدٍ؟

وقبل أن تتمكن كاتي من التفكير بما قاله لتجيبه بشيء معقول، وصل الطبيب وأمضت نصف الساعة التالية وهي تصغي إلى برونو يتولى قيادة الحديث. راح يطرح على الطبيب أسئلة ما كانت لتخطر أبداً في بالها، ما جعلها تشعر بالرعب حقاً. لكن يبدو أن أسئلته هذه أثارت اهتمام الطبيب وتقديره، نظراً إلى عمق وغزارة المعلومات التي تضمنتها إجاباته.

تبيّن لهما في النهاية، أن لا سبب يمنع جوزيف من استعادة كامل صحته، كما يجب تشجيعه على القيام ببعض التمارين الخفيفة، وهو سوف يعود إلى المنزل في غضون أسبوعين تقريباً.

- تمارين رياضية!

تمتم برونو بذلك وكأنه يحدث نفسه فيما هما يخرجان من المستشفى ويتجهان إلى موقف السيارات. ثم تابع يقول: «التمارين الوحيدة التي يقوم بها جوزيف هي السير ببطء في الحديقة، هل أنا على حق؟»

قالت كاتي: «إنه ليس يافعاً برونو»

ولم تستطع منع نفسها من قول المزيد، فأضافت بجدية: «ما الذي تتوقعه منه؟ أن يجر عربة نقل بين أحواض الزهور!»

أجفلت كاتي وشعرت في الوقت نفسه بسرور لا مبرر له حين راح برونو يضحك من سخريتها اللاذعة تلك. راحت تقود السيارة بحذر لتخرج من المدينة باتجاه المنزل. وعندها فقط تذكرت نقاشهما الذي لم ينتهِ بشأن العمل.. أو على الأصح، لم ينتهِ النقاش من وجهة نظرها هي فقط، أما بالنسبة إلى برونو، فمن الواضح أنه قرر إقفال الموضوع.

أخذت كاتي نفساً عميقاً ثم انفجرت قائلة: «لكن كيف يمكنك أن تدير... لديك إمبراطورية من الأعمال، أليس كذلك؟ ستديرها من المنزل؟ أقصد... ألا تحتاج لأن تكون موجوداً إذا ما طرأ طارىء و...»

توقفت عن الكلام وهي تحاول تصور كيفية إدارة عمل ضخم كعمله، ثم تابعت تقول: «.. أعني إذا ما حصل شيء ما».

سألها برونو بفضول: «شيء ما، مثل ماذا؟»

ازداد عبوسها وقالت بغموض: «لا أعرف بالتحديد.. كارثة ما أو ما شابه».

- هل تقصدين انهيار مبنى على سبيل المثال؟

سمعت كاتي نبرة التسلية في صوته والتي شكلت هجوماً ساحقاً على جهلها الواضح بالشركات المالية وكيفية إدارتها، فهي حقاً لا تهتم بمثل تلك الأمور. فقالت بشجاعة: «أقصد... ألا تحتاج إلى الحضور فعلياً إلى مكتبك، وهكذا تكون موجوداً إذا ما أراد أحدهم...؟ حسناً، قد يحتاجون إلى التحدث إليك وجهاً لوجه».

تشدّق برونو بنعومة: «آه، كلا. فالتكنولوجيا متقدمة جداً هذه الأيام..»

غمغمت مدافعة عن نفسها: «إنها ليست غلطتي، لأنني لم أكن يوماً من هواة الكومبيوتر. بالطبع حصلت على بعض الدروس في المدرسة، لكنني لم أكن يوماً من المهتمين به... ولطالما فكرت أنه مجرد آلة لا أكثر ولا أقل».

حدّقت كاتي إلى الخارج عبر النافذة متأملة وهي تقود السيارة لتخرج من زحمة المواصلات.

لم تستطع إيجاد وسيلة تخلصها من العمل مع برونو، لا سيما بعد أن طرق الموضوع الرئيسي بتذكيرها بأنها تنال أجراً، ومن المفترض أن تعمل لقاء هذاالأجر حتى لو لم يكن عرابه موجوداً. تخيّلت نفسها وهي تعمل بسرعة وفعاليّة، تجيب على المكالمات الهاتفية، وتحاول مجاراته في العمل.. فشعرت على الفور بأن دماغها سيتوقف عن العمل كما شعرت بالألم يتجمع في معدتها. ربما أمكنها أن تظهر بعض الكفاءة لو لم تكن تشعر بذلك القلق والغباء في حضوره. لكنها، في الواقع، قد تتعثر بكل شيء وسوف ينتهي بهما الأمر إلى إثارة غضبه.

ألا يستطيع رؤية ذلك؟ لماذا يصر على تعريض نفسه للغضب والتوتر اللذين لا نهاية لهما، لأنها، ببساطة، لا تستطيع مجاراته؟

- مع أنه فعلاً كذلك، لكنه مفيد جداً.

- ماذا؟

وشعرت به وهو يأخذ نفساً عميقاً ما يدل بوضوح على نفاد صبره. ثم قال يذكرها بنبرة متثاقلة: «عالم الكومبيوتر... كنا نتحدث عن الكومبيوتر. أو بالأحرى، أنت كنت تفعلين ذلك. كنت تقولين إنك لم تظهري اهتماماً به أثناء دراستك».

- آه، نعم. أنا آسفة.

- لديك عادة سيئة جداً، أنت تعتذرين عن كل شيء!

قال برونو ذلك بالنبرة المتثاقلة نفسها، ما ذكرها بالأساتذة الذي يكادون يفقدون صبرهم في وجه بعض التلامذة الأغبياء. وأكمل برونو كلامه: «عليك أن تتخلصي من هذه العادة عندما تبدأين بالعمل لدي، لأن ذلك مزعج جداً».

سألته بقلق: «لكن، ما الذي سيحدث عندما أرتكب خطأ ما؟»

- ها أنت قد بدأت تفترضين الأسوأ حتى قبل أن نبدأ بالعمل. ما الذي أفعله الآن بحق الله! لقد تشعب الموضوع ليصل إلى مكان مختلف تماماً.

لم تستطع كاتي منع نفسها من القول: «لكن ذلك يحدث، ألا تظن ذلك؟»

وتذكرت وهي تفكر بهذا الأمر أن هذا ما يحصل باستمرار؛ حيث يبدأ جوزيف بالقاء الإملاء عليها بجدية تامة، ودون أن تشعر تتسارع آلاف الأسئلة إلى رأسها. فيأخذان في مناقشتها بقوة واندفاع وينتهي بهما الأمر إلى مواضيع بعيدة كل البعد عن عملهما الأساسي.

- فلنعد إلى عالم الكومبيوتر. . إنه يسمح لي بالعمل تقريباً من أي مكان. بواسطته يمكنني متابعة أعمالي اليومية والحصول على البريد من سكريتيرتي، كما يمكنني الحصول على الملفات التي أحتاجها بمجرد الضغط على أحد أزراره. كيف تتخيلين إذن أنني استطيع الاستمرار في العمل في فرع الشركة في لندن عندما أكون في نيويورك أو بالعكس؟

قالت كاتي بصدق: «لا أستطيع تخيّل ذلك».

تمكنت أخيراً من التخلص من الازدحام المرهق، وشعرت بالراحة عندما أصبحت الطرقات أقل ازدحاماً: «في الواقع، لا أستطيع تخيّل ما تفعله بالمطلق. لا بد أنه عمل مرهق».

- أشعر بالسرور عندما أعمل تحت الضغط.

تمتمت كاتي بنبرة متشككة: «آه!».

- على أي حال، ما أقوله هو إن مكتب جوزيف سيكون كافياً للفترة القصيرة القادمة. من المحتمل أن أمضي يوماً أو يومين في لندن..

وتوقف عن الكلام، ثم تابع بعد قليل: «.. إذا ما احتجت إلى حل إحدى المسائل الغامضة كالتي سبق أن أشرتِ إليها، لكنني سأمضي بقية الأسبوع هنا. فأنا أحمل جهاز الكومبيوتر النقال معي دائماً. لذا لن يكون

هناك مشكلة في وضع بعض الملفات على جهاز الكومبيوتر الموجود في مكتب جوزيف، أما بالنسبة إلى الثياب، فالثياب التي أملكها هنا ستكون كافية في الوقت الحاضر».

جلست كاتي بصمت خلف المقود وهي تتأمل بالحياة المختلفة التي ستحملها لها الأيام القليلة المرتقبة. ها قد بدأ برونو منذ الآن يضع قائمة بميزاتها الشخصية، والتي يجب أن تغيّرها ليصبح قادراً على التعامل معها.

عادت من أفكارها تلك وهي تسمعه يتكلم، وأدركت أنه عاد مرة أخرى إلى الحديث عن التمارين الخفيفة التي يجدر بجوزيف أن يمارسها. وما إن أتى على ذكر السباحة حتى ألقت نحوه لمحة خاطفة، وإذا به متجهم الوجه. كانت تلك النظرة كافية كي تجتاحها ارتجافة من القلق، وقالت لنفسها بانزعاج إن هذا أمر آخر عليها أن تتحمله، وهو أمر لا يستطيع برونو تغييره؛ فذلك الوجه البرونزي البالغ الوسامة يثير فيها أحاسيس غامضة لا يمكنها وصفها، مع أن الرجل لا يثير إعجابها.

– جوزيف لا يحب السباحة، لقد قال لي مرّة لو أن الإنسان خلق ليسبح في البحر لخلق الله له زعانف. لا أظنه يراها تمارين مشجعة ومريحة.

قال برونو: «أنا لا أقترح أن يقطع البحر سابحاً، لكن السباحة تمرين رياضي لطيف. وها أنت قد سمعت ما قاله الطبيب».

– نعم، لكن تلك البركة في حالة سيئة جداً.

– لأن أحداً لا يستخدمها.

– يفاجئني أنك لا تستخدمها عندما تأتي لزيارة جوزيف.

قالت ذلك وهي تفكر بجسمه القوي المتناسق. لا بد أنه يرغب في القيام ببعض التمارين الرياضية المتوفرة في أوقات فراغه.

– البركة هنا ليست مريحة على الإطلاق، كما أنها بحاجة ماسة إلى إعادة التأهيل. لقد كانت بحالة سيئة عندما انتقل جوزيف للعيش هنا، منذ سنوات

عديدة، وأصبحت الآن أسوأ حالاً. من المؤكد أننا نستطيع تجديدها لتصبح في حالة مناسبة. مع قليل من العمل تصبح مقبولة، يمكنني تأمين التجهيزات لتوفير المياه الساخنة، وتجهيز عدة غرف لتبديل الملابس، وإحضار عمال لإصلاح الشقوق في كل مكان..

قالت كاتي مصححة كلامه: «برونو، إنها بحاجة إلى أكثر من مجرد تعديل لتصبح صالحة للسباحة. هناك حشائش في كل شق من الشقوق وفي قعرها! في الواقع، آخر مرة رآها فيها جوزيف اقترح أن يفرغ بعض التراب فيها لتتحول إلى مستنبت للزهور!»

– هل قال ذلك حقاً؟

أومأت كاتي بالإيجاب، واسترقت نظرة نحوه تحت الأضواء الخافتة فرأته يبتسم وقد بدت التسلية على وجهه. للحظة أو أكثر، شعرت أن قلبها توقف عن الخفان، وبارتباك مفاجيء، استعادت تركيزها لينصب من جديد على قيادة السيارة. وذكرت نفسها بحزم أن برونو لا يبادلها ذلك الشعور.

ما لبث برونو أن عاد إلى طبيعته المعهودة، إلى تلك الشخصية التي اعتادت عليها. عاد مرة أخرى ذلك الرجل الذي يصدر الأوامر دون أن يزعج نفسه بالقول، شكراً، عند انتهاء العمل أو حتى بإظهار أي نوع من التقدير.

– حسناً، علينا القيام بشيء لنجعله يغير رأيه، وهذا سيكون أول عمل لك عند الصباح، سأذهب إلى لندن لأحضر ما أريده من المكتب وسوف أتغيب طيلة النهار، لذا سيكون لديك متسع من الوقت للاتصال بكل الأشخاص الذين تحتاجين إليهم لإصلاح البركة، كي تصبح صالحة للاستعمال.

– إصلاح البركة! هل تتخيّل كم سيستغرق ذلك من الوقت؟

قال برونو مؤكداً: «أنفقي ما يلزم من المال ولتأخذ ما تحتاج إليه من الوقت، لكن يجب أن تنتهي قبل عودة جوزيف إلى المنزل».

- أنا لست واثقة..

- الدرس الأول في عالم الأعمال؛ يجب أن تكوني واثقة دوماً. الدرس الثاني؛ يجب أن تجعلي الآخرين يعملون وفق إرادتك. إذا رفضت القبول بالتأخير والإلغاء، سوف تجدين الآخرين يعملون على تنفيذ البرنامج الذي وضعته لهم بالتحديد!

كادت كاتي تكرر أنها ليست واثقة من شعورها نحوه على الاطلاق، لكنها ابتلعت كلماتها في اللحظة الأخيرة، لتقول بدلاً من ذلك: «لم أحظَ يوماً بمن يعمل وفق إرادتي، حقاً..»

- إذن، ها أنت تحصلين اليوم على تحدٍ جديد! وبالعودة إلى موضوع البركة، أظن أننا سنحتاج إلى بعض المفروشات لتوضع حولها.

- أي نوع من المفروشات؟

- كراسي ومقاعد مريحة. كراسي يستطيع جوزيف الاستراحة عليها بعد الانتهاء من تمارينه الخفيفة. سأترك أمر اختيارها لك، ولكن إياك أن تتفوهي أمامه بكلمة عن هذا الموضوع. ستكون تلك مفاجأة له.

أخيراً أصبحا على مقربة من المنزل الذي يقع بعيداً عن الطريق العام، وشعرت كاتي بالانتعاش يغمر قلبها ما إن تراءى منظر المنزل القديم أمام ناظريها. كما غمر قلبها الانتعاش أيضاً لأنها تمكنت من قيادة السيارة إلى وسط المدينة والعودة منها بسلام، فيما كان برونو برفقتها، من دون أن تعرض نفسها لسخريته أو انتقاده. وكان برونو قد تلا عليها لائحة، ملخصاً لها الأعمال المطلوبة منها، دون أن ينسى تذكيرها بأن العمل تحت الضغط يصنع المعجزات، موحياً لها بإنجاز العمل المطلوب في غيابه.

دخل برونو إلى المنزل، أضاء الأنوار وأخبرها باختصار عن خطته بالنسبة للعمل. قائلاً إنه يتوقع البدء بالعمل في المنزل بدءاً من بعد يوم غد. وأعلمها بأن عليها أن تكون جاهزة للبدء بالعمل عند الساعة الثامنة والنصف، أما هو

فسيبدأ العمل منذ الساعة السابعة، لكن من الطبيعي أنه لا يتوقع منها أن تتأقلم على الفور مع برنامج عمله.

كادت كاتي تضحك بصوت مرتفع، عندما أنهى كلامه سائلاً إياها بتهذيب إن كان لديها أي سؤال، إذ لم يبدُ عليه أنه مستعد للجلوس أو أنه سيرضى بالموافقة على أي طلب تطلبه منه.

هزّت كاتي رأسها ببلادة فأومأ لها باقتضاب وقال: «حسناً، في هذه الحالة، عليّ الذهاب إلى المكتب كي أضع الأمور في نصابها. لا تزعجي نفسك بانتظاري على العشاء، سأتناول بعض الطعام من مكان ما على الطريق. لدي الكثير من الأمور لأفكر فيها، كما علي إجراء بعض الاتصالات الهاتفية الخارجية».

هزّت كاتي رأسها ثانية، وقد فقدت القدرة على الكلام. وشعرت بتعاطف كبير نحو سكريتيرته المسكينة.

الحمد لله أن جوزيف سيعود قريباً إلى المنزل، وعندئذٍ تعود الحياة فيه إلى ما كانت عليه في السابق.

٣ - امرأتان ورجل

راح برونو يراقب كاتي من خلال زجاج النافذة المشع في غرفة الجلوس، وهي تقف في الفناء خارج المبنى، حيث أقام المالكون الأساسيون للمنزل بركة للسباحة. كانت الأبواب مفتوحة، أما هي فكانت تقف وظهرها نحوه واضعة يديها على خصرها فيما هي تراقب العمال الذين استخدمتهم بناء لطلبه. وقد رفعت كمي كنزتها الواسعة حتى مرفقيها وبدت الجزمة الخضراء التي تنتعلها من تحت تنورتها الطويلة.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة، وبرونو قد عاد لتوه من زيارة عرّابه في المستشفى. وبدا له أن جوزيف يتماثل إلى الشفاء بسرعة، فقد قال له متذمراً: «الطعام هنا رهيب! لا طعم له ولا رائحة». ثم نظر إلى برونو وقد بدا عليه الارتباك وقال: «بالنسبة لعملك هنا.. أنت لن تفرض نظام عملك السخيف على كاتي، أليس كذلك؟»

- سخيف!

- حسناً، أنت تعلم كم أنت مهووس بالعمل..

بدت في صوته لمحة خفيفة من عدم الرضى: «لا يمكنني إدارة عمل ناجح يا جوزيف إذا أمضيت وقتي في لعب الغولف أو في السفر والرحلات».

وفكر أنه لم يلعب الغولف مرة في حياته أما بالنسبة إلى الرحلات وأخذ الإجازات... حسناً، إنه يحتاج إلى بعض منها بين أيام العمل المرهقة لا أكثر. وفي الواقع، آخر مرة اقتنع فيها بأخذ إجازة لمدة أسبوع كانت منذ ستة أشهر، وذلك عندما ذهب مع إيزابيل إلى سيشيل بناء على اقتراحها. وبعد

مرور يومين، شعر برغبة قوية في العودة إلى العمل. هل ذلك يعني أنه مدمن على العمل؟ ربما..

أطلق جوزيف من بين أنفاسه صوتاً يدل على عدم الاقتناع. ثم أضاف وهو ينظر إلى برونو بعينين ضيقتين: «أنت لن تقسو عليها، أليس كذلك؟».

بخطوات واثقة، خرج من غرفة الجلوس عبر المطبخ، واتجه إلى الفناء الخارجي، وفوجىء عندما سمعها تتحدث إلى العمال بثقة وهي تضحك. ومع ذلك، ما إن تنحنح برونو خلفها لينبئها بقدومه، حتى استدارت وقد ظهر على وجهها من جديد ذلك التعبير المعتاد من القلق وكأنه قناع يغطي وجهها.

- ها قد عدت!

قال برونو ذلك بصوت أجش، وهو يقترب ليقف قربها ويرى ما يجري من عمل. ثم تابع قائلاً: «تبدين سعيدة بما يجري، كمن أضاع قرشاً ووجد جنيهاً. من الأفضل أن تخبريني ما الذي يجري هنا».

سار بثاقل مبتعداً عنها، وراح ينظر بتمعن إلى ما حوله. بعد عدة لحظات، تبعته كاتي وبدأت تدله على الأماكن التي تم إنجاز العمل فيها. لم تطع تعليماته بالتحديد في ما يتعلق بوضع القوانين وتحديد الأوامر.. في الواقع، بدت مترددة وخجولة عندما قامت بزيارة الشركة التي تقوم بتجهيز الأفنية والشرفات بالأثاث الخارجي والتجهيزات اللازمة، والتي تقع في ضاحية المدينة. وتجهّم وجهها عندما عرضوا عليها لائحة بالعوائق التي تحول دون إنجاز العمل في الوقت المناسب، وذلك بعد أن شرحت لهم عن وضع البركة بمجمله، وقالت بحماسة إن المال لن يكون مشكلة، إذا تمكنوا من إنجاز العمل في الوقت المحدّد قبل عودة جوزيف إلى المنزل.

في الواقع، أمضت معظم الوقت وهي تتحدث عن رب عملها، والأزمة القلبية المفاجئة التي أصابته، وعن الحاجة الملحة إلى تأهيل البركة وتجهيزها ليتمكن من ممارسة تمارين رياضية خفيفة فيها بصورة يومية. وما لبثت أن

امتلأت عيناها بالدموع ما دفع الرجل اللطيف المتقدم في السن لأن يخرج علبة المحارم الورقية من مكتبه ويقدمها لها. بعدئذٍ، بدأ كل شيء يسير على ما يرام.

قد يصاب برونو بنوبة قلبية لو علم بما دار من حديث في ذلك المكتب. تنفست كاتي بارتياح لأنه كان في لندن أثناء ذلك.

توقف العمال الخمسة الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخمسين عن العمل، وراح كل منهم يتحدث عن دوره في إنجاز العمل. وفيما هم يتحدثون راح برونو ينظر بتمعّن إلى المكان، وهو يهز رأسه موافقاً على ما يسمعه، طارحاً عليهم أقل ما يمكن من الأسئلة.

قام برونو بدورة كاملة حول البركة قبل ن يعود ليقف قرب الباب حيث انضمت إليه كاتي بعد تردد. أشار للعمال بمتابعة عملهم دون أن ينسى تذكيرهم بوجوب الاستمرار في العمل حتى يتم إنجاز ما هو مطلوب منهم، وذلك دون تحديد وقت معين. وفيما هما سائران إلى المطبخ قال: «حسناً يبدو كل ذلك جيداً».

خلع سترته ورماها ببساطة على إحدى الكراسي قرب الطاولة الخشبية، واستدار لينظر إليها. لاحظ أن بضع خصلات من شعرها قد تدلت على جانبي وجهها، وأنها قد خلعت تلك الجزمة بجانب باب المطبخ، واستبدلتها بحذاء خفيف مريح.

- الفضل يعود إليك، أنا... أنا لم أكن واثقة من أن العمل قد ينتهي ضمن الوقت المحدد.. لكن..

هزّ برونو رأسه وقد شعر بالرضى: «ألم أقل لك إن على المرء أن يكون شرساً؟»

قالت توافقه: «نعم، لقد قلت لي ذلك».

قالت ذلك وهي تفكر بطريقتها في التحدث مع صاحب الشركة السيد هوكنز، والتي لا تشبه الشراسة في شيء.

- هل تريد بعض القهوة أو الشاي؟

كان الوقت قد تجاوز السادسة، وفكرت أنه قد يرغب بتناول شيء آخر، فتابعت تقول: «أم تراك ترغب بشيء آخر؟ أعتقد أن هناك الكثير من المشروبات في الخزانة أو في البراد».

- سأكتفي بفنجان من القهوة.

وفيما هي تقوم بإعداد القهوة، وجدت نفسها تقول: «أعدّت ماغي فطيرة بالدجاج، يمكنني تسخينها لك إذا أردت، كما يوجد عدّة أنواع من الخضار. عرضت ماغي البقاء كي تغسل الصحون بعد العشاء. لكنني قلت لها إن بإمكانها الذهاب. هل يناسبك ذلك؟»

ونظرت إليه، فإذا به قد جلس على إحدى الكراسي، بعد أن أزاحها من مكانها كي يتمكن من النظر إليها وتتبع حركاتها وهي تتحدث إليه.

قال لها بنبرة ساخرة: «في الواقع، ليس من عادتي أن أتناول العشاء عند الساعة السادسة والنصف، لأنني أكون في العمل في مثل هذه الساعة».

أطلقت كاتي ضحكة متوترة وهي تقول: «آه، صحيح. بالطبع أنت كذلك. أما أنا وجوزيف فنتناول عشاءنا في وقت مبكر. وقبل ذلك، كنت أتناول عشائي مع الأطفال».

وضعت فنجان القهوة أمامه وتراجعت لتجلس على كرسي في الجانب الآخر من الطاولة، ثم تابعت تقول: «جسمي غير معتاد على برنامج الحياة المترفة، على ما أظن».

بدت أقرب إلى المراهقات منها إلى النساء الراشدات بوجهها الخالي من الزينة وشعرها المنفلت من رباطه وطريقتها التلقائية في التصرف. لكن الفتاة تكاد تبلغ الرابعة والعشرين من عمرها! كم هو عدد النساء في مثل سنها واللواتي يشعرن بالرضى للبقاء في منزل كهذا للعناية برجل عجوز، مهما كان ذلك الرجل لطيفاً وساحراً؟

- ألا يزعجك ذلك أبداً؟

شعر بالضيق لسماع نفسه وهو يقول ذلك. رفعت كاتي رأسها، فيما كانت تراقب البخار المتصاعد من فنجان قهوتها، ونظرت إليه بمجفلة لتقول: «ماذا؟»

أشار برونو بيده إلى المنزل: «أعني... بقاؤك هنا مع جوزيف، تناول العشاء في ساعة مبكرة، الحياة الهادئة...»

تورّد خدا كاتي وهي تسمع بوضوح نبرة الانتقاد في صوته، ولم تعلم ما عليها أن تقول. وأخيراً، قالت: «ولمَ عليّ أن أشعر بالانزعاج؟ أنا لست ممن يحبون السهر والحفلات، مع أنني...»

والتقت عيناها بعينيه السوداوين الثاقبتي النظرات، فتابعت بسرعة: «... أخرج في يوم عطلتي، وهذا أمر طبيعي، فألتقي باثنين من أصدقائي الذين تعرفت عليهم في البلدة. إنهما مدّرسان، التقيت بهما في المكتبة منذ عدة أشهر».

انتصبت أذنا برونو، وراح يفكر وكأنه لم يقتنع أن هذه العصفورة الصغيرة التي تنظر إليه يمكنها أن تنشىء علاقات من هذا النوع. وسألها: «أهم أصدقاء رجال؟»

غدا وجه كاتي أكثر احمراراً، وقالت متلعثمة: «لا أعتقد أن هذا من شأنك حقاً!»

وشعرت بالحرج وهي تدرك أن ملامح وجهه الغامضة والمتوترة أصبحت الآن مرتاحة وظهر عليها المرح. فقال دون أن يظهر في صوته أي أثر للاعتذار: «أنت على حق، هذا ليس من شأني».

ثم تابع قائلاً: «ذهبت لزيارة جوزيف قبل عودتي إلى هنا».

ومع أنه غيّر موضوع الحديث إلا أنه استمر في مراقبتها، وهو يشعر على مضض بأنه مفتون بتلك الشفافية الخالصة التي تميّز وجهها. إنها تعيش حياة

هادئة وآمنة، يتضح ذلك من النظرة الأولى إليها، ويبدو أنها لا تعرف ذلك العالم الواسع من الخدع النسائية. وراح يفكر بإيزابيل وجمالها الفاتن، البارد والمتكلّف، وتساءل ما الذي يجمع ما بين هاتين المرأتين. سألته كاتي بلهفة: «إنه بخير، أليس كذلك؟»

وأشرق وجهها بالسرور ما إن تذكرت زيارتها له بعد ظهر ذلك اليوم، فقالت: «الأطباء والممرضات سعداء جداً لسرعة تماثله للشفاء».

قال برونو متشدقاً: «لكنه لا يبدو سعيداً بسبب نظامه الغذائي»

ضحكت كاتي ضحكة حلوة رقيقة وقالت: «إنه محتال! أظنه كان يحاول استغلال مشاعرك، لأنه يعلم جيداً أنه لا يسمح له بتناول الطعام الدسم. وقد أوضحت له ذلك تماماً».

ضحك برونو ضحكة خافتة، ثم قال لها وهو يبتسم ابتسامة خطيرة: «أعتقد أن هذا ما كان يحاول القيام به بالتحديد. «طعام صحي بسيط وبركة سباحة»... أنا واثق أن جوزيف سيقاوم هذه الفلسفة الجديدة للحياة بكل ما لديه من قوة».

التقت عيناهما للحظة في مرح متبادل، ثم رمشت كاتي بعينيها وأبعدت نظراتها عنه فجأة وقد شعرت بارتباك غامض.

فكرت وهي تشعر بنوع من الاضطراب، إنه حقاً رجل وسيم جداً ونظراته الخطيرة بإمكانها أن ترسل الارتجاف في كيان أي امرأة عادية. في الواقع، لم يكن الأمر بهذه الصعوبة، كما فكرت في اليوم التالي، عندما دخلت إلى مكتب جوزيف في الساعة الثامنة والنصف صباحاً، لتجد أنه قد بدأ العمل. وكان برونو قد رفع كمي قميصه حتى مرفقيه، وجلس أمام الكومبيوتر النقال.

ألقى عليها نظرة سريعة، وعندما استمرت بالوقوف في الباب، طلب منها بنفاد صبر أن تدخل وتغلق الباب خلفها.

منحها عشر دقائق لتجلس أمام جهاز الكومبيوتر الخاص بجوزيف وتصبح جاهزة لتسجيل ما يتوقع أن يقوما به من عمل لهذا اليوم. ثم راح يتلو عليها بقوة العديد من التعليمات.

التقرير الأول كان عبارة عن رسالة معقدة وطويلة تتعلق باتفاقية عمل بقيمة ملايين من الجنيهات، وتحتوي على كلمات لم تسمع بها كاتي من قبل قط في حياتها، فكيف بطباعتها!

وعندما تنهدت أخيراً وهي تشعر بيأس كبير، استدار برونو نحوها، ثم اقترب بسرعة إلى حيث تجلس أمام الكومبيوتر. انحنى فوقها، ومديده ليتمكن من توجيه السهم على الشاشة ليرى الرسالة بأكملها، فإذا بالرسالة مليئة بالكثير من الأخطاء. فقال بنبرة متثاقلة: «كنت أعتقد أنك تجيدين الطباعة».

وتحرك في هذه الأثناء ليجلس على حافة المكتب وينظر إليها بتجهم. تمتمت كاتي وقد شعرت بوجهها يحترق: «لقد حذرتك بأن فكرتك تلك خاطئة. أنا أحاول جهدي حقاً، ولكنك تملي علي الكلام بسرعة، فكيف يمكنني مجاراتك؟»

- هذه الرسالة مليئة بالأخطاء الإملائية.

اعترفت كاتي بيأس: «أعلم ذلك».

وعاودتها كل مشاعر الكره التي تكنها له، ما جعلها تزداد ارتباكاً، فقالت: «نصف هذه الكلمات لم أسمع بها في حياتي! إنها تعابير قانونية. قد تكون سكرتيرتك سريعة جداً في طباعة هذه اللغة الغريبة لأنها معتادة عليها، أما أنا فلست كذلك! جوزيف لا يملي علي وثائق تتعلق بالأعمال بل بأمور تتعلق بالحياة العادية».

بد الارتجاف واضحاً في صوتها وشعرت كاتي برغبة ملحّة بأن ترمي الكومبيوتر الثقال الذي يملكه فوق رأسه.

- عليك أن تصححي هذه الأخطاء: وإذا كنت بحاجة إلى المساعدة،

يمكنك الاستعانة بأحد القواميس القانونية الموضوعة على الرف.

وابتعد برونو عن المكتب، مفسحاً لها المجال لتستجمع قوتها من جديد، وتحضر القاموس عن الرف.

جلس برونو بارتياح على المقعد الجلدي الذي كان يتلاءم بلطف وانسجام مع قامة جوزيف، فيما بدا كالقزم مقارنة بجسمه القوي الكبير، وبدأ بإجراء عدد من الاتصالات الهاتفية. ولم تستطع كاتي منع نفسها من الإصغاء إلى بعض ما يقوله أثناء عملها على تصحيح الأخطاء في تلك الوثيقة الكريهة.

عندما انتهت من ذلك العمل البائس، أدركت أنه لم ينهِ بعد اتصالاته الهاتفية. وفوجئت عندما أدركت أن هذا الاتصال ليس كبقية الاتصالات.. كان برونو قد أدار الكرسي بعيداً عنها، وراح يتحدث بصوت خفيض أجش.. بصوت حميم جداً.

راحت تحدق بقوة بالجهة الخلفية من رأسه، وكانت لا تزال كذلك عندما أدار الكرسي ليعيد السماعة إلى مكانها. سألها بصوت ناعم كالحرير: «هل انتهيت؟»

هزّت كاتي رأسها بالإيجاب ونظرت بعيداً، ثم سارعت بالقول: «إن كنت تحتاج إلى بعض الخصوصية لإجراء اتصالاتك الهاتفية، فلا مانع لدي، حقاً، بالمغادرة..»

وسرعان ما شعرت بالإحراج بسبب زلة لسانها غير المقصودة. أبعد برونو رأسه إلى الوراء ونظر إليها متأملاً: «ما الذي جعلك تعتقدين أنني كنت أجري اتصالاً خاصاً؟»

تمتمت كاتي وهي غير قادرة على إبعاد نظراتها عنه: «هذا أمر لا يعنيني».

وقف وسار نحو النافذة، ثم اتكأ عليها ليتمكن من مراقبة كاتي بطريقة أفضل، وتابع يقول: «أنت على حق، كنت أجرى اتصالاً خاصاً، لكني لا أحتاج إلى الخصوصية من أجل ذلك.. أؤكد لك».

- آه حسناً.

بدا لها جوابه مربكاً بحد ذاته. لا شك لديها بأنه كان يتحدث مع امرأة، ولو كانت هي تجري اتصالاً خاصاً مع رجل، لرغبت بأن تتمتع بأكبر قدر من الخصوصية. لكن برونو ليس رجلاً عادياً.. وربما، لا يقول كلمات حميمة وعاطفية.

- هل تحدّث جوزيف يوماً عن... كيف أقولها.. حياتي الشخصية؟

قالت كاتي بنبرة مراوغة: «لا! ليس في الواقع».

- ماذا تعنين بقولك «ليس في الواقع»؟ أتعنين نعم أم لا؟

- لقد ذكر مرة أو مرتين أنك.. أن لديك شعبية بين النساء.

بدا لها أن تلك الكلمات جعلته يشعر بالكثير من المرح، فرفع حاجبيه بطريقة معبّرة، وقال: «هذا يعني أنه يعتقد أن لدي الكثير من العلاقات الغرامية».

- ليس هذا ما قاله!

- لا! لكن هذا ما يفكر به، وهو لا يوافق على أمر كهذا، ولا جدوى من إنكار ذلك. لكن..

بدا كأن برونو يسحب الكلمات من فمه سحباً، إلى أن قال: «.. يمكنني أن أقدم له مفاجأة سارة عندما يعود إلى المنزل.. لم أحضر من قبل أي امرأة أعرفها إلى هذا المنزل لرؤية جوزيف».

قالت كاتي دون إرادة منها: «أعرف ذلك».

وما لبثت أن وبّخت نفسها على تسرّعها.

- مع أنني أعلم أن هذا ما يريده جوزيف، ومنذ فترة طويلة. إنه يريدني أن أنشىء علاقة جدية مع إحداهن وأدعوها إلى زيارته هنا.

استغرق برونو في التفكير قبل أن يقول: «أعتقد أن الوقت قد حان لأحضر امرأة إلى هنا كي تقابله».

لم تستطع كاتي منع نفسها من السؤال بنبرة تحمل بعض السخرية: «وهل هناك امرأة معينة؟»

فقد بدت لها طريقته في التحدث عن هذا الأمر بعيدة تمام البعد عن الرومنسية. فلو أنه مغرم بتلك المرأة، ويريدها أن تقابل عرابه، ألا يفترض به أن يتحدث عنها أولاً.

- إنني أقابل امرأة منذ عدة أشهر، ويبدو لي أن الوقت قد حان كي استقر.

- ألأن جوزيف تعرض لنوبة قلبية، فكرت بأن تسعده فيما هو يستعيد عافيته؟

- بل لأنني لم أعد شاباً، والزمن لا ينتظر أحداً.

كم بدا لها مزعجاً أن تسمع تصريحاً كهذا من شخص معتد بكبريائه وبراعته في الكلام! نظر إليها برونو وقد تجهم وجهه وبدا كأنه مستغرق في التفكير، ثم تابع يقول: «على أي حال، ستكون إيزابيل زوجة رائعة، أما جوزيف فسوف يشعر بالسعادة».

وافقته كاتي: «أنا واثقة من ذلك».

وفاجأها أنها تشعر بفضول عميق إلى معرفة المزيد، فقالت: «كيف تبدو هذه المرأة؟»

- شقراء، طويلة القامة، إنها في الواقع عارضة أزياء سابقة. والدها يملك إحدى أكبر شركات الكومبيوتر في البلاد، وهو يتوسع في أعماله بسرعة كبيرة..»

وتوقف فجأة ليسألها ساخطاً: «لِمَ يبدو هذا التعبير الغريب على وجهك؟»

- إنها تبدو... شريكة مثالية.

قالت كاتي ذلك وهي تحاول التفكير بعبارة أفضل لتقولها، ثم أردفت: «متى ستدعوها لتتعرف على جوزيف؟»

www.elromancia.com

– في أقرب وقت ممكن، بعد عودته من المستشفى. بالطبع، لن أذكر له نيتي في الزواج منها على الفور، بل سأعطيه الوقت ليتمكن من التعرف عليها أولاً. فالتعرض للمفاجآت قد يعيده ثانية إلى المستشفى. والآن، بعد أن انتهينا من ذلك الحديث، هل نستطيع العودة إلى العمل؟

يا إلهي! خلال دقيقة راح يتكلم عن أمر من المفترض أن يكون الحدث الأكبر في حياته، وفي الدقيقة التالية، يعلن بذلك الصوت الخالي من أي تعبير بأنه يرغب في العودة إلى العمل. وكأن الأمران سيان لديه! ولسبب ما وجدت كاتي صعوبة في التركيز على العمل لبقية النهار، فإذا بأفكارها تعود تلقائياً مرة بعد أخرى إلى عارضة الأزياء الشقراء الطويلة، التي بدا لها أنها برزت من مكان مجهول، لتلعب دور زوجة برونو وكنة جوزيف... أتراها امرأة هادئة الطباع؟ أتحب قضاء أوقاتها في الخارج؟ أهي من أولئك النساء الواثقات من أنفسهن؟

خلال زياراتها لجوزيف في المستشفى، راودتها رغبة ملحّة بالتحدث عن هذا الموضوع. لكن، لحسن الحظ، أن هناك الكثير من المواضيع التي يرغبان هي وجوزيف بالتحدث عنها، دون ذكر الحياة الخاصة لبرونو على الإطلاق.

في المقام الأول كانت تحب أن تفضي إليه بأخبار الكوارث المتكررة التي تحصل معها وهي تعمل على الكومبيوتر، وعن دفاعها الفوري عن نفسها، عندما يبدأ برونو بإملاء الرسائل عليها بسرعة هائلة وكأنه يطلق الرصاص. إلاّ أنها شعرت بالدهشة بعد مرور أسبوع واحد، عندما اكتشفت أنها اعتادت على طريقته في العمل، أو... بتعبير أفضل، باتت ترغب بالعمل معه. فلم تعد تقفز من مكانها مجفلة، عندما يقترب منها ليعاين ما كتبته، وقد فهمت بسرعة تقلبات مزاجه.

إلا أن صوتاً صغيراً همس في رأسها وهي تستعد لمغادرة المستشفى، وكان ذلك تحديداً في اليوم الثامن لبدء عملها مع برونو، بأنها لم تعد تعتبر نفسها عاثرة الحظ، أليس كذلك؟

في الواقع، أدركت أن تلك الأوقات التي يتشاركان فيها العشاء، أصبحت ذات قيمة في حياتها. فأثناء تلك الأوقات يبحث معها برونو الاتفاقات مستمعاً إلى آرائها في كل ما يطرحه، وكأنها ند له وليست تلك الفتاة التي اضطر إلى الاستعانة بها كسكرتيرة مساعدة، وهي لم تعد تنكمش على نفسها عندما يطرح عليها أسئلة تتعلق بأسرتها.

بالأمس فقط، نظر إليها نظرة غريبة بعد أن أنهت حديثاً طويلاً عن اللحظات المحبطة التي عاشتها في فترة المراهقة، وقال وقد بدا الارتباك في صوته: «عندما تبدأين بالإفضاء عمّا في صدرك، لا يمكنك أن تتوقفي أليس كذلك؟»

فترت كاتي كلامه هذا على أنه إطراء لها، إلى أن لاحظت أن تعابير وجهه تفصح عن شيء أقرب إلى الفضول، وكأنه يواجه أمراً جديداً عليه.

لكن على الأقل، لم تعد تنكمش على نفسها عندما تتحدث إليه. وفي الواقع، باتت الآن تنظر إلى وجهه عندما يتكلم معها بدلاً من إشاحة نظرها بعيداً عنه. لقد جعلها تشفى من ذلك مرة وإلى الأبد منذ أربعة أيام. يومها، وضع إصبعه تحت ذقنها بخفة بالغة، ورفع رأسها إلى أن التقت عيونهما، وقال لها إن عليها التخلص من تلك العادة المزعجة بتوجيه حديثها إلى مفروشات لا حياة فيها.

أما البركة، فقد أصبحت جاهزة تماماً، وهذا أمر جعلها تشعر بالكثير من السعادة، ذلك أن أمر تأهيلها وتجهيزها ترك بأكمله تحت سلطتها.

عندما وصلت إلى المنزل، وجدت كاتي نفسها تدندن مرافقة أغنية تستمع إليها عبر راديو السيارة، رأت سيارة رياضية حمراء اللون مركونة في إحدى الزوايا في الباحة الأمامية للمنزل، وقد بدا لونها الأحمر متنافراً مع قرميد المنزل الأحمر الذي مرت عليه عوامل الزمن. أوقفت الرانج روفر ومئات الأسئلة تتدافع إلى رأسها.

وجدت الإجابة على تلك الأسئلة كلها في اللحظة التي فتحت فيها الباب

الأمامي، وسمعت أصواتاً قادمة من غرفة الجلوس. كانت تعرف أحد هذه الأصوات جيداً، أما الصوت الآخر، فلم يكن هناك مشكلة في تحديده بدقة. إنه يعود إلى المرأة صاحبة السيارة المركونة في الخارج، والتي تبرز بوضوح مظاهر الفتنة والمال. إنها إيزابيل، المرأة الغامضة التي ستصبح قريباً زوجة برونو. هذا ما قادها إليه تفكيرها المنطقي، لكن ما لم يعجبها على الإطلاق، ذلك الإحساس بالألم القوي في معدتها، وهي تسير ببطء باتجاه تلك الأصوات.

كان باب غرفة الجلوس مفتوحاً، ما أتاح لها رؤية ذلك المشهد لعدة دقائق. كان برونو يجلس بتكاسل قرب النافذة، وهو يحمل بيده كوب عصير ويبتسم للمرأة التي تجلس على الأريكة وظهرها نحو كاتي. حتى من تلك المسافة التي تبلغ عدة أمتار، أدركت كاتي أنهما كانا قريبين جداً من بعضهما البعض. وكان برونو أول من ابتعد عندما لاحظ وجود شخص ينظر إليهما وهو يقف في الباب.

- ها أنت قد عدت! هل كنت في المستشفى؟

تقدمت كاتي عدة خطوات في الغرفة، قبل أن تقول: «طلب مني جوزيف أن آخذ له بعض الكتب من المكتبة. إنه يشكو من الملل».

- كاتي، هذه إيزابيل.

ابتسمت كاتي بتردد وسارت إلى الأمام لتتمكن من رؤية الشقراء الطويلة التي تجلس على الأريكة، ثم قالت: «لقد... لقد لاحظت سيارتك الرياضية في الخارج».

كانت المرأة ترتدي تنورة حريرية قصيرة، بدت ساقاها من تحتها وكأن لا نهاية لهما، أما شعرها فمزيج من الألوان الشقراء المتدرجة، وهو يتدلى حول وجهها حتى يصل إلى ذقنها. جاء صوتها بارداً حين قالت: «سيارتي الصغيرة هذه رائعة، إذ يمكنني أن أوقفها في أي مكان في لندن، كما أنها سريعة جداً. إذن، أنت السكرتيرة التي تعمل مع برونو!».

وجالت عيناها الزرقاوان بنظرة سريعة على كاتي، وبدا واضحاً أن ما رأته جعلها تشعر بالرضى: «أخبرني برونو كل شيء عنك».

- آه، حقاً!

وفكرت كاتي بمحاولاتها الكثيرة لتصبح كفوءة، والتي كانت تبوء دائماً بالفشل بسبب افتقادها للخبرة، وأدركت أن ما قاله برونو عنها، مهما يكن، فلن يكون أبداً إطراء لها.

- آه، من الواضح أن عرّابه يحبك كثيراً، عزيزتي. والآن، لِمَ لا تأتين وتجلسين بقربي لتتحدث عن شؤون تتعلق بالفتيات؟ عزيزي برونو، لِمَ لا تسكب لكايت..

- كاتي!

- آه، نعم، لِمَ لا تسكب لكاتي شراباً ما؟

جلست كاتي بتردد على الأريكة قرب المرأة الشقراء، وشعرت كأنها أقحمت فجأة في أحد الأفلام السينمائية الغريبة، حيث أجبرت على التعامل مع مخلوق فضائي يجيد التحدث بلغة ليست مألوفة لديها.

أما إيزابيل، فبدت مرتاحة جداً، وتتصرف بصورة تملكية مع برونو. فلم تكف عن ملامسة ذراعه بين الحين والآخر، ورمقه بنظرات سرية ذات مغزى، وإطلاق النوادر التي تهدف إلى إظهارهما على أنهما زوجان مناسبان جداً لبعضهما البعض. في الوقت الذي بدا فيه برونو صامتاً على غير عادته، وكأنه يراقب ما يجري بمزيج من التسلية والتقييم. ووجدت كاتي ذلك مثيراً للأعصاب.

حضرت ماغي لهم وجبة مميزة، فيما كانت كاتي تساعدها في إعداد المائدة في غرفة الطعام الرسمية، لأن طاولة المطبخ تبدو غير لائقة بالنسبة إلى ضيفة تتميز بهذه الدرجة من التأنق. وتساءلت ما الذي يفعله ذانك الإثنان في غرفة الجلوس، ثم راحت تحلّل الأحاديث التي دارت بينها وبين إيزابيل،

فتوصلت إلى استنتاج مزعج؛ لا شك أنها بدت بالنسبة إلى إيزابيل، أكثر حماقة وأكثر تعقيداً مما هي عليه في العادة. فما هي إلا عثة صغيرة بنية اللون، بجانب فراشة مذهلة رائعة الألوان.

مع اقتراب السهرة من نهايتها، بدأت تفهم وهي تشعر بالحزن لما أظهر برونو تلك الدهشة كلها من أسلوب حياتها. فبالمقارنة مع إيزابيل، لا بد أنه رآها أشبه بشيء يعود إلى العصر الحجري.

الأمر الوحيد الذي فاجأها، هو إصراره على أن تعود إيزابيل إلى لندن. وبدت تلك نعمة من السماء بالنسبة لكاتي، برّر برونو ذلك بأن لديهما عملاً ينجزانه، ثم رق صوته وهو يفسّر لها أن إيزابيل تشكل إلهاء بالنسبة إليه. ومع أن ذلك أمر واضح إلا أن ذكره جاء بمثابة صفعة لكاتي.

كانت كاتي تضع آخر قطعة من الأواني الفضية في آلة غسل الصحون عندما دخل إلى المطبخ. رفعت بصرها وقد بدا شعرها دون ترتيب، لتجد أنه يحدّق بها. ظهر العبوس على وجهه وقال: «ما كان عليك القيام بذلك، ستقوم ماغي بهذه الأعمال كلها عند الصباح».

ثم سار إلى ناحية في المطبخ وجلس بارتياح على إحدى الكراسي. قالت كاتي وهي تشغّل الآلة: «آه، لا مشكلة في ذلك».

كما أنها لم تفكر لحظة واحدة بأن إيزابيل قد تمد لها يد المساعدة. فأظافر إيزابيل المطلية بعناية لا تقوم بتنظيف الصحون.

شعرت بالاحمرار يغزو وجهها عندما تخيّلت ما الذي يراه وهو ينظر إليها الآن. وإذا ببرونو يقول بنبرة غاضبة: «عملك هنا لا يشمل تنظيف الصحون، فأنت لست مدبرة المنزل».

- إذا كان هناك من عمل في المنزل، فسأقوم به.

وفكرت أنه يبدو في مزاج سيء بالنسبة إلى رجل أمضى السهرة بالقرب من المرأة التي سيتزوجها. وسألته: «هل تحتاجني لأمر ما؟ فأنا متعبة حقاً!»

- لم تتجاوز الساعة التاسعة بعد! كيف يمكن، بحق الله، أن تكوني متعبة؟ ألا تبالغين قليلاً في الاستسلام للحياة الهادئة؟

- لا داعي لأن تفقد أعصابك معي.

قالت كاتي ذلك وهي تشعر بالغضب ينمو في داخلها. ثم تابعت تقول: «إذا كنت مستاء لأن إيزابيل عادت إلى لندن، فهذه ليست غلطتي! كان بإمكانها البقاء هنا، فجوزيف ليس هنا ليعترض على ذلك. في الواقع، أنا واثقة أن جوزيف ما كان ليعترض على الأمر في مطلق الأحوال».

- لا تكوني سخيفة. بالطبع، أنا لست مستاء لأن إيزابيل عادت إلى لندن. ولمَ عليّ أن أكون كذلك؟ وإذا كنت قد نسيت، أذكرك بأنني أنا من اقترح عليها المغادرة! فغداً أمامنا يوم عمل شاق، ولا داعي لوجودها هنا. سوف تشعر بالضجر، وتتوقع مني أن أقوم بتسليتها.

لا بد أن ردة فعل كاتي المروّعة ظهرت على وجهها، لأن برونو نظر إليها وقد عبس بشدة وبدا فمه متصلباً حين قال: «يبدو عليك كأنك تقاومين رغبتك بقول شيء ما. فما هو؟ أخرجيه من صدرك بدلاً من الوقوف هناك فاغرة الفم من الانزعاج».

- حسناً.. ما قلته للتو هو أمر غير لطيف على الإطلاق، أليس كذلك؟ إنك تتحدث عن المرأة التي تحبها وترغب في الزواج بها.

وتساءلت كاتي إن كان افتقارها للتجربة في العلاقات العاطفية قد جعل منها حالمة ورومنسية ميؤوس منها، وبعيدة كل البعد عما يجري في العالم الحقيقي. وتابعت تقول: «أعني، ألا ترغب بقضاء المزيد من الوقت مع خطيبتك؟ أنا واثقة أنك تستطيع أخذ يوم إجازة..»

- إنها ليست خطيبتي.

- لكنني اعتقدت أنك قلت..

- قلت إن الوقت قد حان، ربما، لاستقر وأتزوج. إنني في الرابعة

والثلاثين من عمري، وعدم الاستقرار يصبح أمراً مؤلماً بعد سن معينة. إيزابيل قد تكون الزوجة المثالية لي، لكن ذلك لا يعني أنني فاتحتها بهذا الأمر.

- آه!

في تلك اللحظة بالذات، أثارت تعابير وجهها سخطه، لأنه استطاع أن يقرأ ما تفكر فيه بالتحديد من خلال تلك التعابير، ولم يعجبه ذلك. أين الخطأ في أن يكون الشخص موضوعياً في ما يتعلق بالزواج؟ لقد عانى الكثير بسبب تسرّع أمه بالزواج مرتين، وفي كلتي المرتين كان زواجها ينتهي بالدموع. فهو مقتنع تماماً بأن الرباط الأبدي بين شخصين يجب أن يعتمد على المنطق والواقعية، كما أنه متأكد، بأن إيزابيل امرأة واقعية وتعتمد على المنطق في الحكم على مثل هذه الأمور. إنها تناسب تماماً كل المعايير المطلوبة. فتح برونو فمه ليشرح لها منطقه ببرودة، وإذا بكاتي تقول وقد بدت لمحة من الشفقة في نبرة صوتها: «لكن، ماذا عن الحب؟ الرومانسية؟ السحر؟»

- بحق الله يا كاتي، نحن لا نتحدث عن شخص لم أعرفه يوماً. وعندما أرفع الخمار عن وجه العروس لن أجد أنني تزوجت بحورية البحر! ربما تفكرين على هذا النحو لأنك لم تحبيها..

شعرت كاتي بالضيق لأن ملاحظته قد فاجأتها وجعلتها تحمر خجلاً، فقالت: «هذا ليس صحيحاً!»

الصمت الذي تلا ذلك بدا طويلاً جداً، إلى أن تابعت تقول متلعثمة: «تبدو شديدة... شديدة..»

- ماذا؟ لا أستطيع الانتظار حتى أسمع ما ستقولينه.

فأسرعت تقول بنبرة إيجابية: «شديدة الأناقة، ورفيعة الثقافة. وبالطبع، هي جميلة جداً ومصقولة جداً جداً».

وأدركت كاتي أنها تمكنت من جعلها تبدو كقطعة خزف صيني باهظة الثمن.

قام برونو بتعداد الصفات التي ذكرتها على أصابعه: «أنيقة، مثقفة، جميلة ومصقولة. ومع ذلك، هل تظنين أنها لا تملك الصفات المناسبة لتكون زوجة؟»

- لم أقل ذلك مطلقاً. وعلى أي حال، لا قيمة لما أفكر فيه.

وقف برونو وألقى نظرة على ساعته، لقد انتهى النقاش لأن رأيها لا قيمة له. يمكنها أن ترى ذلك بوضوح من خلال تعابير وجهه.

- عليَّ أن أجري اتصالاً هاتفياً هاماً عند التاسعة من صباح الغد. أريدك أن تطبعي العديد من الرسائل، وعليك العمل بسرعة كي نتمكن من إنهاء عملنا عند الساعة الخامسة. أنت لم تخططي للقيام بشيء نهار غد، أليس كذلك؟

- لا.

وتمنت لو أن العكس هو الصحيح. قد تكون إيزابيل شبيهة بقطعة الخزف، لكنها تراهن بحياتها أن تلك الشقراء لا تحتمل البقاء في منزلها لتقرأ الكتب وتشاهد التلفزيون طيلة الأسبوع. وشعرت أن حياتها الهادئة بدأت تتعرض للاهتزاز.. لم تعد تطيق انتظاراً حتى يعود جوزيف إلى المنزل ويرحل برونو وتعود الحياة إلى ما كانت عليه في السابق.

٤ - الحب ليس لعبة

- ليس سيئاً.

ابتعد برونو عن المكتب ونظر إليها فرأت كاتي على وجهه ملامح الدهشة، ثم تابع يقول: «ما من خطأ إملائي واحد! ألم أقل لك إن بإمكانك القيام بذلك؟»

- إنها قرابة الثامنة إلا ربعاً.

حاولت كاتي ألا تتثاءب أو تتحرك مبدية انزعاجها من تأخر الوقت. شعرت كأن جسمها قدالتصق بالكرسي، وأن أي حركة مفاجئة ستقوم بها قد ينتج عنها شعور بالألم.

- لأنني أخذت وقتاً كافياً لتصحيح أخطائي الإملائية.

- هذه وجهة نظر خاطئة. إنك تتقدمين في العمل، فلا تحاولي التقليل من شأن نفسك.. أنت تتعلمين بسرعة!

ابتلعت كاتي التعليق الذي كاد يفلت من بين شفتيها. لقد عملا معاً حتى الساعة السابعة والنصف طيلة الأيام الأربعة الماضية، ولم يتوقفا عن العمل إلا من أجل الذهاب لزيارة جوزيف. تلك الأيام المريحة التي كانت تقضيها بالتنزه مع جوزيف والعمل معه بوتيرة عمل بطيئة على كتابة مذكراته، بدت لها الآن كذكرى بعيدة. وهذه الغرفة المريحة التي كانت لأيام خلت مكاناً مباركاً بمقاعدها المريحة ورفوفها المليئة بالكتب، أصبحت الآن مكتباً مجهزاً بأحدث مبتكرات التكنولوجيا.

- هل انتهى العمل لهذه الأمسية؟

تقبل برونو ملاحظتها تلك بعبوس خفيف، وقال: «أنت لست متعبة، أليس كذلك؟»

ونظر إليها بعينين ضيقتين: «أخبرتك أن هذه الاتفاقية هامة جداً وخاصة جداً، وقد تأخرنا في إنجازها بسبب ذهابي صباح البارحة إلى لندن. في المرة القادمة، عندما أسافر إلى لندن، من الأفضل أن تأتي معي فتحضرين الاجتماع وتسجلين الملاحظات الهامة، وهكذا لن أحتاج إلى إملائها عليك عند عودتي».

رمقته كاتي بنظرة ملؤها التحذير: «لا! لا، لا.. أنا لست سكرتيرتك..»

- أنت تعملين معي، تسجلين المعلومات، تكتبين الرسائل، تردين على الاتصالات، وتطبعي ملفاتي كلها.. اعذريني إذا ما جرفني التفكير حتى خلتك سكرتيرة حقيقية..

سارعت كاتي إلى القول: «أنا أقوم فقط بدور السكرتيرة».

وحركت إحدى قدميها لتتأكد من قدرتها على التحرك، فبدت لها في حالة جيدة، ولا تشكو من أي تقلص عضلي. ثم حركت القدم الأخرى، وتابعت تقول: «أنا أساعدك بصورة مؤقتة بسبب هذه الظروف الاستثنائية، ولا أستطيع مطلقاً الذهاب معك إلى لندن لحضور أي اجتماع. لن أذهب أبداً!»

شعر برونو بالكثير من التسلية عندما رأى أن شعورها بالخجل قد تحول إلى عناد وتصميم قويين، إلا أنه لم يتفاجأ كما حصل له منذ أسبوعين، ذلك أن عمله معها جعله يرى أمراً في غاية الوضوح؛ تلك الفتاة الخجولة التي كانت تعمل في الماضي على إثارة أعصابه، ليست مزعجة أو معقدة على الإطلاق، كما توقع من قبل. بل في الواقع، تحت هذا الوجه الذي يتميز بالشفافية يكمن عناد كبير، من المستحيل إزاحته، كما هو الأمر الآن. رفع

يديه مستسلماً بطريقة ساخرة ثم رماها بابتسامة ساحرة وهو يقول: «أوه! كانت تلك مجرد فكرة..»

- إنها فكرة بائسة!

وامتلأ رأسها برؤى تشبه الكوابيس ما إن تخيّلت نفسها جالسة في اجتماعات مع برونو... اجتماعات ذات مستوى رفيع مع أشخاص مميزين، وهي تحاول مرعوبة جمع كل مهاراتها، وتبقى مع ذلك دون المستوى المطلوب في تدوين الملاحظات. تلك الفكرة جعلتها ترتجف برعب. من المحتمل أن يكون برونو قد اعتاد، إلى حد ما، على العمل معها في مكتب جوزيف الصغير، لكنها تشك بأن يظهر أي تعاطف إذا ما عملا معاً في مكتبه الخاص.

- هذا ما قلته منذ أسبوعين عن مسألة عملك معي، وهذا ما فكرت به أيضاً عندما طلبت منك أن تبدأي بالعمل على إعادة تأهيل البركة.

استقرت عيناه السوداوان عليها وبدا كأنه مستغرق في التفكير، إلا أن ابتسامة خفيفة علت وجهه، ابتسامة شخص توصل إلى برهان في قضية ما. ثم وقف ومرّر أصابعه في شعره. وسار نحو النافذة ليتكىء على حافتها قبل أن يقول وهو ينظر إليها: «هذا يكفي الآن، لقد تأخر الوقت، نستطيع القول إنه يوم عمل مكثّف».

قالت كاتي: «يمكنني أن أنهي تلك الرسائل المتبقية، إن كنت ترغب بذلك».

وشعرت بالذنب لأنها تدرك أن برونو مستعد لأن يستمر في العمل لعدة ساعات بعد، لكنه اضطر إلى التوقف لأنها متعبة وجائعة، وتشعر بالألم لكثرة التحديق في شاشة الكومبيوتر.

- لا. لا يمكنني أن أتصرف كرب عمل غير منصف!

رمقته كاتي بنظرة متشككة ما دفعه إلى مبادلتها بنظرات ملؤها السخرية

قبل أن يقول: «فكري بالأمر، توقفنا عن العمل لمدة ساعتين حين ذهبنا لزيارة جوزيف، لذا فإنك في الواقع لم تعملي أكثر من الوقت المحدد. بالإضافة إلى ذلك، ألم أوفر عليك التجول بملل حول هذا المنزل دون أن يكون لديك ما تقومين به؟

- في الواقع، لدي الكثير من العمل كي أقوم به.

- ما هو هذا العمل؟

عادت تعابير العناد إلى وجهها واخفضت بصرها إلى الأسفل ثم هزت كتفيها هزة خفيفة. واكتشف برونو أن هذا التصرف من قبلها هو أكثر عاداتها إزعاجاً، فكلما سألها سؤالاً ولم ترغب في الإجابة عليه، لا سيّما إذا كان هذا السؤال ذا طابع شخصي، فإنها تهز كتفيها قليلاً وتبعد نظراتها عنه ويتسم وجهها بتلك التعابير الباردة التي تزيد من فضوله وتثير أعصابه. تجاهل هذا الأمر في الوقت الحاضر وقال لها: «هل أنت جائعة؟ لا بد أنك كذلك، فمنذ نصف ساعة بدأت معدتك بإصدار أصوات كأنها تصرخ: «أطعموني».

رفعت كاتي نظرها بانزعاج وضغطت بيدها على معدتها بصورة لا شعورية ثم قالت: «هذا.. هذا كلام غير لطيف منك».

- إنها الحقيقة. اذهبي لتبدلي ثيابك بسرعة، أريد أن أصطحبك إلى العشاء في الخارج.

- استميحك عذراً؟

- سمعتِ ما قلته؛ سوف نتعشى في الخارج، أنا وأنتِ، والآن، أسرعي. ربما تريدين أن تأخذي حماماً وتبدلي ثيابك.

- لا يمكننا أن نخرج! ماغي حضّرت لنا العشاء.

- سنحتفظ به ليوم غد. سوف يعود جوزيف إلى المنزل بعد غد، ونحن نحتاج إلى التحدث قليلاً عما سيحدث بعد عودته.

كانت كاتي قد نهضت عن كرسيها وقد اتسعت عيناها حتى بدتا كصحني

فنجاني قهوة وهي تنظر إلى الرجل الوسيم الغامض، فيما راح هو يبادلها النظر بنفاد صبر. نعم، لقد اعتادت على العمل معه، كما يقال. لكن تناول العشاء معاً في الخارج.. في مطعم..! بحثت في ذهنها عن عذر ما يمكن أن يمنعها من الذهاب برفقته.

- اتفقنا إذن! والآن سوف أنهي بعض الأمور هنا، وأراك في الطابق السفلي.. لنقل.. عند الساعة الثامنة والربع؟ هل يكفيك هذا للوقت لتصبحي جاهزة؟

سار باتجاه المنضدة وراح يتصفح بعض الملفات على مكتبه، فيما تراجعت كاتي نحو الباب. أخيراً أصدرت صوتاً من حلقها لتثير انتباهه. عادت عيناه السوداوان تركزان نظراتهما على وجهها على مضض، وسألها: «ماذا؟ هل هناك شيء آخر؟»

- لا، آه، لا. فكرت فقط بأنه من الأسهل لنا أن نأكل هنا ونتحدث.. حسناً، مهما كان الموضوع الذي تريد بحثه..

عبس برونو ونظر إليها باهتمام. ثم سألها بنبرة فاترة: «هل تقولين لي إنك لن تقبلي دعوتي إلى العشاء؟»

- بالطبع لا! أنا فقط لا أريد أن تشعر.. أن عليك..

- لِمَ عليّ أن أشعر بذلك؟

- ربما هي مبادرة منك للتعويض عن العمل الذي أقوم به، كما يقال.

- لقد بدأت بامتحان صبري، كاتي. أنا لم أفكر مطلقاً بذلك الأمر. لكن، أين الخطأ إذا قمت بمبادرة كهذه؟ لقد نجح اتفاقنا أكثر مما توقعت بأشواط كثيرة. وسواء صدقت أم لم تصدقي، مكافأة العمل الجيد هي جزء من طبيعتي.

- أحقاً؟ أنا فقط... حسناً. أردت أن أتأكد فقط.

وابتسمت له ابتسامة رائعة وتابعت: «الثامنة والربع إذن!»

- قد تخرجين من خلال الباب إذا ما استمريتِ بالضغط عليه أكثر.

رافقها لمعان ابتسامته المرحة بينما كانت تستحم وترتدي ثيابها. نظرت بيأس إلى صورتها في المرآة، وهي تلف جسمها بالمنشفة، ونظرت بيأس أكبر إلى ثيابها المعلقة بترتيب في خزانتها. كلما فكرت في تلك الابتسامة التي توحي بالحماية أمام تصرفاتها الساذجة، كلما عاودتها تلك الرغبة الملحة بأن تقوم بشيء غريب وخارج عن المألوف لتفاجئه. لكم ترغب بأن ترتدي ثياباً أنيقة وجريئة، ليتها تملك مثل تلك الثياب.. لكن نظرة سريعة إلى ثيابها في الخزانة كانت كافية لتعلمها أن من المستحيل عليها ن تقوم بذلك.

على أي حال، ما إن ارتدت ثوبها الطويل الفضفاض وفوقه سترة صوفية جميلة زرقاء اللون، حتى فكرت أن هذا كل ما تحتاج إليه، في المرات القليلة التي ارتدت ثياباً مختلفة خلالها، لم تستطع أن تشعر بالارتياح. كما أن صديقها الأخير نصحها بلطف أن تبقى بعيدة عن تلك الثياب المليئة بالإغراء. فهي تملك وجهاً ملائكياً، ولا معنى لإفساد ذلك بمحاولتها ارتداء ثياب تجعلها تشبه شخصاً قادماً من منطقة غريبة. هذا ما قاله لها. ومع أن كاتي شعرت بالسعادة لأنها تمتلك ذلك الوجه الملائكي وإن كانت شخصياً لا تراه كذلك، إلا أنها شعرت بالانزعاج بطريقة غامضة لأنها لن تتمكن على الإطلاق من إثارة انتباه أي كان. وعادت صورة إيزابيل إلى ذهنها حتى إنها كادت تتعثر وهي تنزل الدرج.

بالطبع، لم تتمكن من إيجاد برونو على الفور. وأخيراً وجدته قرب بركة السباحة حيث كان يعاين المكان بنظرة أخيرة. بالكاد نظر إليها عندما تنحنحت لتعلمه أنها أصبحت جاهزة، وعندما استدار كي يواجهها، بدت نظراته متفحصة تماماً، إلا أنه لم يتفوه بأي جملة عفوية ليجاملها، أو حتى بإحدى تلك الجمل الكاذبة التي تقال في مثل هذا الظرف.

كان برونو قد بدّل ثيابه، وللحظة، شعرت كاتي أن أنفاسها قد احتبست داخل صدرها لرؤيته. كان يرتدي ثياباً ذات لون أسود، عبارة عن بنطلون

جينز وكنزة طويلة الكمين تصل حتى حزام بنطلونه، وقد ألقى بسترته السوداء على إحدى كتفيه. بدا لها أشبه بقاطع طريق خطير وهو يسير نحوها، حتى كادت كاتي تشعر بقلبها ينسحق بين ضلوعها.

ما الذي أصابها؟ شعرت بالانزعاج بسبب ذلك الخوف الذي أصابها، والذي أعادها إلى أيام المراهقة. وعندما أصبحا في السيارة، لم تجرؤ على النظر ولو مرة واحدة إلى الرجل الذي يجلس إلى جانبها والذي يتولى القيادة. وبعد أن تم استيفاء الحديث عن البركة تماماً، سألها: «ماذا تحبين أن تأكلي؟»

- لا فرق عندي، فأنا لست متطلبة.

- هذا أمر ملفت للنظر! أن نجد امرأة غير متطلبة عندما يتعلق الأمر الطعام.

ابتسم برونو وعاد يركز انتباهه على الطريق أمامه: «ألقيت نظرة على دليل المطاعم الذي يملكه جوزيف، هناك مطعم إيطالي جيد يبعد عدة مبانٍ عن المستشفى. هل يناسبك ذلك؟»

- همم! أنا أحب الطعام الإيطالي.

قال دون مبالاة: «بالطبع، لا بد أنك ذهبت إليه من قبل».

نظرت كاتي إليه مستغربة: «ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟»

لم تستطع تذكر أي حديث تبادلاه قد يتعلق بالمطاعم التي زارتها.

- حسناً، ذكرت أنك كنت تخرجين لتناول العشاء في مناسبات عدة، وليس هناك عدد كبير من الأماكن لتناول الطعام في البلدة..

- آه! في الواقع، كنت أذهب فقط إلى مطاعم تقدم البيتزا، أو تلك التي تقدم وجبات سريعة. فذلك أسهل إذا أردنا الذهاب إلى السينما.. يا إلهي! هل هذا مطعم؟ لم أكن على علم بوجود مكان كهذا في الجوار.

كانا قد توقفا أمام منزل غطى الليلاب جدرانه الخارجية، وقد بدت أمامه باحة صغيرة في الخارج تدل عليه، ولولا ذلك، لبدا هذا المكان كمنزل

خاص. وعلى الفور، شعرت بالقلق بسبب ما ترتديه من ثياب، ونظرت بتوتر إلى ثوبها الموشى بالأزهار. وإذا ببرونو يقول لها بلطف: «الثياب هنا غير رسمية. كما ترين، أنا أيضاً لا أرتدي ثياباً رسمية. أليس كذلك؟»

جعلها كلامه تحمر خجلاً، وقالت بسرعة: «أعلم ذلك، لكن مع ذلك فأنت تبدو ساحراً».

وساد الصمت للحظات طويلة، حتى إن كاتي تمنت يائسة لو أن السيارة تنفتح من الأسفل لتنشق الأرض وتبتلعها. فعادت تقول مصححة: «أعني ملفتاً للأنظار».

وإذا بها تتفوه بما هو أسوأ: «إنه... إنه لون بشرتك. أعتقد أنك تستطيع أن ترتدي أي شيء ومع ذلك ستبدو.. حسناً..»

- ساحراً؟

وضحك بصوت خفيض ما جعل الدم يتسارع مندفعاً في شرايينها. والتقت عيونهما بارتباك. بعدئذٍ، فتح برونو باب السيارة وخرج منها تاركاً إياها تتخبط في الإحراج لأنها قالت ما الذي تفكر فيه بالتحديد، من دون أن تكلّف نفسها عناء التفكير بما سيحدث بعد ذلك. وما حدث فعلاً هو أنها جعلته يضحك منها وقد بدت عليه التسلية بشكل واضح.

بدا المطعم صغيراً ومرحباً بالضيوف، وقد أمّه الكثير من الناس. وما إن جلسا إلى طاولتهما، حتى وجدت كاتي نفسها عرضة لتلك النظرات المتفحصة التي بدا لها أن برونو متخصص بها. سألته وقد علا الاحمرار وجهها: «ماذا؟ ما الأمر؟ لماذا تحدق بي هكذا؟ إنه أمر فظ».

- أمن الفظاظة أن يحدّق رجل بامرأة؟ هذه وجهة نظر جديرة بالاهتمام. لِمَ تظنين أن ذلك أمر فظ؟

أجابت كاتي متلعثمة: «لأن..»

- من المؤكد أنها ليست المرّة الأولى التي يحدّق بك رجل. لا بد أن

أصدقاءك يفعلون هذا. أليس كذلك؟

وجدت كاتي ملاذاً لها في النظر إلى قائمة الطعام أمامها. وتنهدت بارتياح عندما تخلّى برونو عن الحديث في ذلك الموضوع وبدأ بالتحدث من جديد عن تأهيل بركة السباحة.

في الواقع. انتهى العمل في البركة ولم يبق إلا بعض اللمسات الخارجية. وكان برونو محقاً في آرائه بهذا الشأن. لقد أعطاها الحرية المطلقة بإنفاق المال على هذا المشروع، على أن تأخذ بالاعتبار ضرورة إنجازه بسرعة. وهذا ما حصل فعلاً.

- أعتقد أن علينا إظهار الأمر على أنه مفاجأة رائعة، دون إبداء أي ملاحظة. فنحن نعلم أنه لن يشعر بالسرور لفكرة استعماله لتلك البركة كما نريده أن يفعل. ومن المؤكد أنه لن يسبح كل تلك المسافة بمفرده، وعليك أن تبقي معه. لديك ثوب سباحة، أليس كذلك؟

- أنني لم أحضر معي ثوب سباحة، برونو. فلِمَ سأحتاجه هنا؟

- أذن، عليك أن تذهبي لشراء واحد في أقرب فرصة ممكنة.

استغرقت كاتي في الصمت وهي تفكر في إمكانية قضاء أوقات ممتعة في البركة. لم تكن يوماً سباحة ماهرة، وقد تخلت عن هذا النشاط منذ كانت في الرابعة عشرة من عمرها، كي لا تظهر في ثوب السباحة الذي يظهرها أكثر نحولاً مما هي في الواقع. على الأقل، جوزيف لن يلاحظ افتقادها إلى الشكل الحسن.

استيقظت من أحلام اليقظة لتدرك أن برونو قد انتقل من التحدث عن هذا الموضوع إلى موضوع آخر مختلف تماماً؛ إيزابيل.

قاطعته وهو في وسط الجملة التي ينطق بهما لتقول: «آسفة، هل يمكنك أن تعيد ما قلته للتو؟ فأنا لم أكن مصغية إليك».

ثم ابتسمت معتذرة وتابعت بخجل: «في الواقع، استغرقت في أحلام

اليقظة. أعاني من مشكلة دائمة بهذا الخصوص، ولطالما أثرت غضب الاساتذة جراء ذلك. فعندما كانوا يشرحون مسألة ما، كبعض المسائل الرياضية مثلاً، أفقد التركيز على ما يقولونه لأجد فكري يتجول...»

رفع برونو يده ونظر إليها مظهراً تأففه: «لا داعي للغوص في التفاصيل كلها. يكفي أن تقولي إنك لم تكوني مصغية لما أقوله. وإذا سمحت لي بالسؤال، متى فقدت التركيز على كلامي؟ إنه أمر مضحك، لم يكن لدي هذا التأثير أبداً على النساء من قبل».

- أي تأثير؟

- أضجرهن.

احتجت كاتي: «لم أكن ضجرة! لقد قلت لك، كنت...»

- حسناً، حسناً، اتضحت لي الصورة تماماً. لنعد من جديد..

تلفظ بالعبارة الأخيرة مشدّداً على مخارج الحروف. كأنما أراد أن يعلمها، وبدون أدنى شك، بأن تكرار نفسه أمام امرأة لا تعيره اهتمامها هو أمر غير مستساغ لديه.

- كنت أتحدث عن إيزابيل. سوف يعود جوزيف إلى المنزل نهار السبت، وأعتقد أن مقابلته لها يوم الأحد ستكون فكرة جيدة. يمكنني أن أطلب منها أن تأتي لقضاء النهار هنا، وهكذا سيكون أمامهما فرصة ليتعرفا على بعضهما البعض.

وتوقف عن الكلام ثم أطلق تنهيدة قبل أن يتابع قائلاً: «لماذا تجهم وجهك هكذا؟»

- أحقاً؟ آه، يا إلهي! لا. أقصد، نعم. إنها فكرة رائعة!

حاولت كاتي أن تتصور ردة فعل جوزيف لرؤيته تلك الشقراء التي هي مثال للجمال، ووجدت أنها لا تستطيع تصور ذلك. كما وجدت أيضاً أنها ليست متحمسة على الإطلاق لفكرة زيارة إيزابيل للمنزل مرة ثانية، مع أنها

شعرت بسخافة تفكيرها هذا.

- آه، نعم. يمكنني رؤية «الفكرة الرائعة» مطبوعة على وجهك بأكمله، تكلمي كاتي. ما المشكلة الآن؟ من المحتمل أنك لم تحبي إيزابيل، لكنني أوكد لك أن عرّابي سيشعر بسعادة بالغة لمعرفته أن ابنه بالعمادة قرر الاستقرار أخيراً.

- أنا واثقة من ذلك.. كل ما في الأمر، حسناً.. جوزيف يحمل في أعماقه ميولاً رومنسية قديمة. من المؤسف أنه لم يتزوج أبداً.

- ربما هو كذلك لأنه لم يتزوج أبداً.

تساءلت كاتي كيف يمكن لشخص متشكك إلى هذا الحد بالنسبة إلى مفهوم الزواج أن يتزوج. إلا أنها تذكرت أن مفهوم الزواج بالنسبة إليه يختلف كلياً عن مفهوم أي شخص آخر. ومن المؤكد أنه مختلف تماماً عن مفهوم عرّابه له، والذي يظهر من خلال مذكراته. فجوزيف لديه إيمان واضح بأهمية الحب في الزواج. وشعرت بأن عليها أن تفسر له ذلك فقالت بنبرة قلقة: «الأمر هو.. عليك أن تتصرف بطريقة مختلفة قليلاً مع إيزابيل عندما تأتي إلى المنزل، كي لا يعتقد جوزيف أنك ترمي بنفسك في ورطة من أجل إسعاده. في الواقع، إنه ذكي جداً».

- لست أفهم ما الذي تقولينه؟ لا! أشعر أنك ستقومين بشرح وجهة نظرك شرحاً مطولاً. لذا أفضل أن نؤجل ذلك إلى أن نطلب طعامنا، أليس كذلك؟

راقبته كاتي وهو يراجع قائمة الطعام، وتعابير وجهها تنبىء بالكثير الكثير. في الماضي، عندما كان يأتي لزيارة جوزيف وتتعمد هي التهرب من مقابلته، لم تلاحظ مطلقاً أن ملامح وجهه تتسم بالغموض إلى حد كبير. هناك دائماً مسافة بينه وبين الآخرين، مسافة توحي بمقدار كبير من الرهبة، كما أن غطرسته الباردة تملؤها بالخوف - ومع أنه يستطيع أن يكون في بعض الأحيان رجلاً حكيماً، صبوراً ومتسماً بالهدوء والمرح، إلا أنه ما زال من

أولئك الأشخاص الذين لا يستطيع المرء أن يشعر بالارتياح قربهم.

أمسكت كاتي نفسها عن الاستغراق في التفكير، وعادت إلى الواقع. اختارت من قائمة الطعام أكثر الأصناف التي تحتوي على دسم، وهي تدرك أن برونو ينظر إليها وقد رفع حاجبيه مستغرباً. لم تكن بحاجة إلى النظر إليه كي تعرف بما يفكر، وقالت كأنها تختبر ردة فعله: «أخبرتك أنني أتناول الكثير من الطعام».

- ما يحيرني هو، أين تضعين كل هذا الطعام! لم أرَ في حياتي امرأة لها مثل ذراعيك النحيلين.

وللحظة وجد نفسه يتساءل، كيف تراها تبدو من دون هذه الثياب الفضفاضة، والتي تغطيها بصورة كاملة. وكاد يضحك بسبب هذه الأفكار الفضولية. وتابع يقول: «والآن، ماذا كنت تقولين لي؟ لمَ تعتقدين أنني يجب أن أتصرف بطريقة مختلفة مع إيزابيل كي لا يظن جوزيف أنني أوقع نفسي في ورطة بزواجي من إيزابيل؟»

- أنت لا تتصرف كرجل مغرم.

- آه، يا إلهي! لن نعود إلى ذلك ثانية.

أخذت كاتي نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على متابعة الحديث، فقالت: «أنت تتصرف تماماً كما تفعل الآن هنا.. كأنك..»

قاطعها برونو بحدة: «ماذا تريدين مني أن أفعل؟»

وانحنى قليلاً نحوها، وبذلت مجهوداً قوياً كي تمنع نفسها من التراجع إلى الوراء. منذ أسابيع قليلة، كانت لتتكمش على نفسها بسبب تأثير سلطته. أما الآن، فقد استمرت في التحديق به بعناد.

- هل علي أن أعانقها في غرفة الجلوس كي أبدو مقنعاً؟

علا الاحمرار وجهها وشعرت بأنفاسها تتسارع، فسارعت تقول: «بالطبع لا! لا تكن سخيفاً. لكن جوزيف سيراقبكما ليرى كيف تتصرف

معها. وسوف يتساءل لماذا تتزوج امرأة وأنت لا تبدو مجنوناً بحبها. بعدئذٍ سيجمع اثنين زائد اثنين، حسناً، قد يحصل على أربعة... أو خمسة.. أو مهما يكن..»

سألها برونو باهتمام حقيقي: «ما الذي تقترحينه؟»

أجابت بغموض: «لست أدري».

- ألأنك لم تعرفي رجلاً مغرماً بك إلى حد الجنون؟

لن تسمح له بأن يوقعها في الفخ، كي يدفعها إلى التحدث عن هذا الموضوع الحميم، الذي ستخرج منه خاسرة بدون شك؟

- عندما أتت إلى المنزل، لم يبدُ عليك أنك تصغي بشغف إلى كل كلمة تقولها..

- لكنني لست واقعاً في حبها حتى الجنون.

- آه، يا إلهي! يجب ألاّ تقول ذلك لجوزيف، فإذا علم بذلك سيتحطم قلبه.

أما هي فقد شعرت بومضة من الدفء تغزو قلبها. إذن، إنه على استعداد لأن يتزوج بامرأة لا يحبها. يا له من وغد! وعلى الرغم من ذلك، منحتها تلك المعرفة شعوراً غريباً بالرضى، وهي تفكر أن الفاتنة إيزابيل لم تتمكن من الحصول على قلبه. لكن، لماذا تهتم لهذا الأمر على أي حال؟

قال برونو مفكراً: «ونحن لا نريد لذلك أن يحصل، أليس كذلك؟ ربما..»

أعجبه تلوّن خديها ولمعان عينيها. إنها تملك حقاً أجمل عينين وقع بصره عليهما.

- ربما يمكنك أن تعطيني بعض الدروس عن كيفية التصرف مع إيزابيل. أخبريني أين يمكن خطأي.. أعني ما الذي يجب أن يفعله رجل واقع في الحب حتى الجنون عندما يكون مع حبيبته؟

وفكر ربما.. بأن يحصل على بعض التسلية، أو بأن يرى كيف ستكون ردة فعلها... تطاول قليلاً ووضع يده فوق يدها، ثم أدار يدها ليتمكن من ملامسة راحة كفها بنعومة بإبهامه.

للحظات قليلة، أجفلت كاتي من تصرفه هذا وتجمدت كأنها كتلة من الجليد. ومن أعماق تلك البرودة غمرتها دفقة من الحرارة، جعلت رأسها يدور ونبضها يتسارع وتسلل إحساس بالخدر ليشمل كافة أنحاء جسمها، ما جعلها تشعر بالضعف والخجل..

انتزعت يدها من يده بسرعة وقد غمرها ارتباك رهيب.

- أهي طريقة خاطئة؟

شعر برونو بالفراغ والبرودة في يده حيث كانت يدها من قبل. تراجع في جلسته على الكرسي إلى الوراء، ورماها بنظرة مستفهمة حائرة: «ألم يكن الأمر معبّراً بما يكفي؟ هل كان يجدر بي أن ألامس الخد بدلاً من اليد؟»

وأراد أن يسألها: هل نحاول القيام بذلك معاً؟ إلا أنه زجر نفسه، وهو يتساءل ما الذي يحدث بينهما! حركة بسيطة جعلته يشعر بالكثير من الأمور وهو يقسم بحياته إنه لا يستطيع تفسيرها. لحسن الحظ أن لديه صديقة مثل إيزابيل، ربما يجدر به دعوتها لقضاء أكثر من يوم واحد في المنزل. إذ يبدو أن هناك شحنات عاطفية مكبوتة في داخله وهي تحتاج إلى الانطلاق.

جاء صوت كاتي حاداً على عكس عادتها: «توقف! هذه ليست لعبة، برونو».

قال بتجهم: «لا، إنها ليست كذلك».

وغدا لون وجهه داكناً وهو يتابع قائلاً: «أعتذر إن كنت قد خرقت مبادئك الأخلاقية. لكن، لا داعي لأن تصابي بحالة من الذعر بسبب بعض المزاح، أو ربما.. الإغاظة غير المقصودة».

وإذا بها تصيح قائلة: «لست مصابة بحالة من الذعر».

ثم أخفضت صوتها وقد أدركت أنهما ليسا بمفردهما، مع أن هذا ما كانت تشعر به فعلاً. وكأن بقية الناس الجالسين في المطعم لا وجود لهم: «لكن..»

لم تكن تود قول ذلك حقاً، لكن هذا ما فعلته حين تابعت: «إنني إنسانة، ولدي مشاعر، كما تعلم. وإذا كنت تعتبر أن بإمكانك أن تستخدمني كحقل تجارب لتعرف كيف عليك أن تتصرف مع خطيبتك، وتظن أن هذا مجرد مزاح فقط، فأنا لا أرى الأمر مضحكاً على الإطلاق».

لم يتحدث أحد من قبل مع برونو على هذا النحو. لم يستطع أن يتذكر أن امرأة واحدة عرفها يوماً لم تجاره في مزاحه، بل تستمتع به. بدا وجه كاتي صورة واضحة للإحراج، أما هو فيبدو كجزار حقيقي. أبعد نظراته عنها، لكن ليس لفترة طويلة، إذ شعر فجأة وكأنه أصبح مستعبداً لتلك المرأة التي تجلس قبالته، والتي تنظر إليه بنوع من التحدي المتوقد.

- حسناً. أنت محقة.. أنا آسف.

بدا واضحاً أن صراعاً حقيقياً قام في داخله قبل أن يتمكن من الاعتذار عن تصرفه. ما جعل كاتي تشعر بالارتياح، فابتسمت له شبه ابتسامة خجولة. شعرت أن جسمها قد عاد إلى حالته العادية من جديد، وهذا أمر حسن. لأن ما شعرت به بعد لمسة من يده لا معنى لها، جعلها تشعر بالتوتر والخوف. خافت لأنها لم تشعر من قبل يوماً بهذا الإحساس القوي؛ وكأن كل عصب من أعصاب جسمها قد مسّ بتيار كهربائي.

شعرت بارتياح كبير عندما وصل الطعام. أثناء الطعام، راحا يتحدثان عن جوزيف، وحرصا على البقاء بعيداً عن أي موضوع قد يبدو مثيراً للجدل أو للخلاف. تحدث برونو قليلاً عن نفسه، عن طفولته، وعن تجاربه في المدرسة الداخلية. واعترف بجرأة عندما كان يشربان القهوة، بأنها المرأة الوحيدة التي أصابها الملل وهو يسرد قصصاً عن شبابه.

- لم تكن قصصاً مملّة على الإطلاق!

قالت كاتي ذلك وقد فوجئت لأنه يفكر كذلك. وتابعت تقول: «كيف لك أن تعرف شخصاً ما حق المعرفة إن لم تعرف شيئاً عن ماضيه؟ الماضي هو تاريخنا الذي يجعل منا ما نحن عليه الآن. ألا تعتقد ذلك؟ أوه، هذا موضوع شديد العمق، أليس كذلك؟»

ثم ضحكت بارتباك، ورشفت بعض القهوة من فنجانها. كانت القهوة شهية تماماً كالطعام الذي تناولته. وقد، أنهت كاتي طعامها حتى آخر لقمة في الطبق. ما أثار ذهول برونو وجعلها تضحك من تعابير وجهه عندما أنهت طعامها.

- والآن ماضي أنا!

وضعت مرفقيها بارتياح على الطاولة، وأمسكت بالفنجان بين يديها. ثم راحت تنظر إليه من فوق حافته، فتنطبع في ذهنها صورة وجهه الوسيم، بقسماته الداكنة، ورموشه الطويلة، وعينيه اللتين تبدوان متكاسلتين في الوقت الذي تستطيعان فيه إرسال إشارات الإنذار في كيانها. وقالت: «أراهن على أنك ستغفو وأنت تمسك بفنجان القهوة إذا أخبرتك عنه».

- السعادة لم تكن يوماً باعثاً على الملل. لديك طفولة سعيدة، ووالدان يحبانك بقوة. وهذا سبب ما أنت عليه الآن..

ورمقها بنظرة غريبة ثم عاد ينظر إلى فنجانه، إلى أن اضطر إلى رفع بصره كي يدفع فاتورة الحساب. قالت كاتي بإصرار: «وما هو «ما أنا عليه الآن»؟ لا! لا تقل لي. لا أعتقد أنني أريد معرفة ذلك».

ظهرت ابتسامة تدل على شعوره بالتسلية عند زاوية فمه: «ولمَ لا؟»

قالت دون ضغينة: «أعلم أنك شخص شديد الانتقاد، مع أنكَ لا تدرك ذلك. إلا أنك في الواقع بارع جداً في النقد ولا تستطيع تغيير طبعك».

- وأنتِ..

توقف عن الكلام لينظر إليها من خلال رموشه ثم تابع: «صادقة بشكل

مخيف».

تنهدت كاتي وقد شعرت بارتياح كبير وقالت: «هل هذا ما كنت ستقوله عني؟»

- صادقة، مخلصة، ومذهلة في عدم إحساسك بالسخرية من أي شيء.

شعرت كاتي بالسعادة لتحليله شخصيتها على هذا الشكل، وسألته: «ولِمَ عليّ أن أكون ساخرة؟»

يا لدقته في التحليل! وكأنه لم يلتقِ من قبل شخصاً يحمل مثل تلك الصفات. في الواقع، ودّت لو تخبره بأن أي شخص عادي غير مميز قد يملك هذه الصفات كلها. لكن، في عالمه، الصدق عملة نادرة. فهو رجل بالغ الثراء ويملك سلطة كبيرة، وهي تعلم أن الناس يميلون إلى تملق أمثاله والتزلف لهم. لا بد أنه محاط بأشخاص مستعدين للكذب في كل لحظة بغية إرضائه. ومن المحتمل أيضاً، أن يكون لديه أعداء.

قال برونو موافقاً: «أنت على حق! فما هي المشاكل التي واجهتك لتكوني ساخرة بشأنها؟»

ثم وقف مفسحاً لها المجال لتسير أمامه باتجاه الباب، حيث ودعهما مدير المطعم وشكرهما ثم دعاهما إلى زيارة المكان مرة أخرى.

- مسكين برونو، كم أشعر بالأسى من أجلك!

قالت كاتي ذلك بتهور، وما لبثت أن ندمت على تسرّعها، ما إن رأت علامات الضيق تعلو وجهه. متى ستتعلم ألاّ تطلق العنان للسانها مع هذا الرجل؟ قالت بسرعة: «آسفة».

وابتعدت عنه قليلاً وهما يسيران متجهين نحو السيارة، ثم تابعت: «إنه كلام غبي من قبلي».

- لِمَ تشعرين بالأسى من أجلي؟

بعيداً عن الضوء لم تعد تستطيع تبيّن تعابير وجهه. بدت لها أقرب إلى

الفضول.. الفضول المهذب. لكن من يستطيع التأكد من أي شيء مع برونو؟ وطالما أنه هو من سألها... قالت معترفة: «أكره أن أكون محاطة بأشخاص مشككين وساخرين دوماً».

توقفت عن الكلام عندما فتح لها باب السيارة لتجلس في المقعد المجاور للسائق. وبعد أن انطلقت السيارة من الباحة بسرعة معتدلة، تابعت تقول: «كيف لك أن تعرف إن كان أحدهم يحبك أم لا؟ عليك دائماً أن تراقب كلامك، وأن تفكر بكل ما تفعله..»

وعند هذه النقطة، تذكرت إيزابيل، المرأة التي لا يحبها برونو بجنون، لكن يفترض أنه على الأقل يكنّ لها بعض المشاعر إلى درجة تسمح له بالتصرف على سجيته معها. من الجيد أن تفكر بإيزابيل، إذ من المفيد لها أن تتذكر أن هذا الموعد ليس موعداً عادياً بين رجل وامرأة يرغبان في التعرف على بعضهما البعض. وما دعوته لها إلى العشاء سوى عربون شكر فقط على خدماتها ومساعدتها له. وهكذا أنهت كلامها بشجاعة: «لذلك، أليس رائعاً أن لديك صديقة مثل إيزابيل؟ امرأة تستطيع أن تكون على سجيتك وأنت معها!»

صدرت عنه غمغمة، فسرتها كاتي على أنها موافقة على ما قالته. مع أنها توقفت بعد ذلك عن التحدث في الموضوع، وغرقت في الصمت التام. إلا أنها لم تتمالك نفسها بعد قليل من القول: «أشعر أنه يجب علي أن أعتذر منك..»

- مرة أخرى! علام هذه المرة؟

فكرت كاتي بردة فعلها المبالغ بها عندما أراد أن يمازحها في بداية السهرة. ولم تدرك كم كانت نبرة صوته مشدودة حينها، لأنها لم تعرها اهتمامها، ذلك أن اهتمامها كان منصباً على تحليل ما شعرت به من أحاسيس عندما لمسها. وردّت عليه قائلة: «عن الطريقة السخيفة التي تصرفت بها عندما أردت أن تمازحني في بداية السهرة. هل تذكر؟ عندما أمسكت يدي وطلبت مني أن أعلمك كيف يتصرف الرجل الذي يحب خطيبته حتى الجنون. حسناً، اعتقد

أنني بالغت قليلاً . . كثيراً، في الواقع، إنها وقاحة مني أن أقول لك كيف عليك أن تتصرف بأي حال».

رمقها برونو بنظرة سريعة وتمتم بنعومة: «إذن، هل تعنين أنك لن تمانعي بإعطائي بعض الدروس في نهاية الأمر؟»

من الطبيعي أنه يعرف الجواب مسبقاً، إلا أن فكرة حدوث أمر كهذا دغدغت أحاسيسه بشكل لم يتوقعه على الإطلاق وراح خياله ينسج له صوراً عاطفية لا نهاية لها.

- بالطبع لن أفعل!

وفكرت كاتي أنه عاد إلى المزاح من جديد. لكن هذه المرة لن تتصرف وكأنه أهانها، بل ستضحك للفكرة كما يتوقع برونو تماماً.

ووجد برونو نفسه يفكر: إنه أمر مؤسف! وسرعان ما حوّل تفكيره إلى إيزابيل . .

سيتصل بها غداً صباحاً، ويدعوها لقضاء يوم الأحد معه هنا. كما سيطلب منها إحضار حقيبتها للبقاء بقربه أكثر من يوم واحد.

٥ - حورية في الفناء الخلفي

- إنها . . إنها رائعة!

تم إحضار جوزيف من المستشفى وهو يتمتع بروح معنوية عالية.

إلّا أن روحه المعنوية العالية تلك غاصت إلى الأعماق وهو ينظر بتشكك إلى بركة السباحة والمكان المحيط بها. قالت له كاتي: «تعال وأجلس على أحد هذه المقاعد».

ودفعته بلطف نحو مقعدين من الخيزران وضع عليهما عدد من الوسائد الوثيرة، وذلك قبل أن يستدير ويسير باتجاه المنزل قائلاً: «الآن يا عزيزتي؟ أليس من المفترض أن أستريح في الداخل؟»

إلا أنه سمح لنفسه بالانقياد نحو المجموعة الصغيرة من المقاعد، وجلس على أحدها.

تجاهلت كاتي كلامه، وقالت بنبرة مشرقة: «والآن، أليس المكان مريحاً؟»

جلست بالقرب منه وأدركت أن برونو جلس على المقعد الآخر، مع أنها لم تكن تنظر باتجاهه.

قال جوزيف معترفاً: «ليس سيئاً. لكن مع ذلك، فإن منظر المياه لا يبدو مشجعاً. أظن أنكما تتوقعان مني أن أسبح فيها، أليس كذلك؟ أنا لست سباحاً ماهراً، كما تعلمان. لم أكن يوماً ماهراً في السباحة، وقد أغرق بسهولة».

www.elromancia.com

فقالت كاتي بحماسة: «مياه البركة دافئة».

ونظرت إلى برونو على مضض، وإذا بهذا الأخير يجلس باسترخاء على المقعد وقد مدّد ساقيه أمامه بتكاسل، ملقياً رأسه إلى الوراء فيما عيناه شبه مغمضتين. وقال: «سيخيب أمل كاتي كثيراً إذا رفضت النزول إلى الماء. لقد بذلت مجهوداً كبيراً كي تنهي إصلاح البركة قبل عودتك، أليس كذلك؟»

ونظر إلى كاتي بعينيه السوداوين الجميلتين. بدت نبرة صوت جوزيف مشرقة وهو يقول: «هل فعلت ذلك عزيزتي؟ ما كان عليك ذلك!»

- لقد تمتعت بهذا العمل. وأنت ستسبح فيها قليلاً، أليس كذلك جوزيف؟ قال الطبيب إن بعض التمارين الخفيفة ستكون مفيدة جداً لك. أعني، أنا لا أقترح عليك الصعود في هذه اللحظة إلى غرفتك لترتدي ثوب السباحة، لكن ربما تفعل ذلك غداً..؟

-غداً؟ كيف يمكنني أن أذهب للسباحة غداً، بينما عليّ مقابلة...»

وانحنى قليلاً نحو كاتي وهو ينظر بمكر باتجاه برونو الذي راح يحدّق بهما وقد بدا التجهم على وجهه. وتابع يقول لها: «.. حسناً، لست متأكداً تماماً بما عليّ أن أدعوها. لكن يبدو أن الأمر جدي طالما أنها المرأة الوحيدة التي تجرأ وأحضرها إلى المنزل».

بدت على وجه برونو ملامح شخص أدرك لتوه أنه وقع في الفخ. عند عودتهم من المستشفى، ذكرا - هو وكاتي - إيزابيل وقدومها الوشيك في اليوم التالي بطريقة عادية. ومع أن برونو كان يتكلم بشيء من التحفظ، إلا أن ذلك لم يمنع جوزيف من طرح الأسئلة التفصيلية، والتي أخذت الجزء الأكبر من الوقت أثناء عودتهم إلى المنزل. وكلما زادت الأسئلة حول التفاصيل، كلما أصبحت إجابات برونو عبارة عن كلمة واحدة. وعندما وصلوا إلى المنزل ودخل جوزيف إلى المطبخ للتحدث مع ماغي، التي كانت تنتظر بقلق عودة مخدومها من المستشفى، شعرت كاتي أنّ عليها أن تذكر برونو بأن عليه أن يتخذ موقفاً إيجابياً من هذا الأمر، إذ إنه بصدد تعريف عرّابه وزوجة المستقبل

على بعضهما البعض. فقال مجيباً بتوتر: «إني مدرك لذلك».

ثم تابع يذكرها: «أفترض أن جوزيف لا يعلم أن العلاقة بيننا جدية».

- لِمَ تجعل الأمر معقداً بهذا الشكل؟ لِمَ لا تخبره ببساطة أنك ترغب في الزواجَ من إيزابيل، بدلاً من تفادي أسئلته دائماً؟ هذه الطريقة ستجعله يتساءل ما الذي يجري بينكما بالضبط.

- اتركي حياتي الخاصة لي، كاتي.

هذا كل ما قاله، محمّلاً صوته ما يكفي من البرودة ما جعلها تفكر أنه لن يتقبل أي تدخل آخر من جانبها.

والآن، ها هو جوزيف يتساءل هل عليه أن يكون بكامل أناقته لدى مقابلة إيزابيل، أم أنها من الأشخاص الذين يقبلون الآخرين كما هم؟ لم تستطع كاتي منع نفسها من الضحك من إلحاح جوزيف، لا سيّما عندما رد عليه برونو بوضع نظارتي الشمس السوداوين فوق عينيه. لم تتخيّل أبداً أن هذا الرجل الذي يتميز بصلابة وديناميكية عظيمتين، قد يصيبه أمر عادي بالارتباك. عندما أتت ماغي لتسأل إن كانوا يرغبون في تناول غداء خفيف، نهض عن المقعد بسرعة، تاركاً إياها تتحدث مع جوزيف، بينما أظهر رغبته في المساعدة لإحضار الغداء.

بعد الانتهاء من الغداء وبعد صعود جوزيف إلى غرفته ليرتاح، قال لها برونو: «أريدك أن تأتي معي إلى المكتب لكي ننجز بعض الأعمال».

قالت كاتي معترضة وقد علا العبوس وجهها: «لكن اليوم هو السبت! أعلم أنني لم أعد بعد إلى عملي اليومي مع جوزيف، لكن..»

- لكن، أنت الآن تشعرين وكأنما تم الإفراج عنك، ولم تعد لديك واجبات في العمل كسكرتيرة لي. هل ما أقوله صحيح؟ على أي حال، هناك بضع مسائل عالقة علينا أن ننهيها.

قالت كاتي وقد احمر وجهها خجلاً: «لا! بالطبع لا. كل ما في الأمر هو

أنني افترضت. .»

- سألقاك في المكتب بعد نصف ساعة. ولا حاجة بك لتقلقي، فلن أبقيك هناك لثماني ساعات متتالية. أريد فقط أن أرسل البريد الألكتروني الذي عملنا عليه بالأمس، كما أريدك أن تكتبي رسالة بعد أن يأتيني اتصال عند نهاية الاجتماع.

ثم استدار وسار بسرعة نحو المكتب، تاركاً إياها تتساءل لما هو في مزاج سيء كهذا، بعد أن عاد جوزيف إلى المنزل وهو يتمتع بصحة جيدة، ويبدو سعيداً أكثر مما كانا يتوقعان. كما أن فتاته ستصل في صباح اليوم التالي.

قال جوزيف لكاتي عندما أصبحا في جناحه: «لا يبدو على برونو الحماس بشأن تلك المخلوقة إيزابيل. ولست واثقاً من أنني سعيد بالسماع عنها».

كانت كاتي تبحث له عن كتاب يقرأه: «لا يمكنك قول ذلك، جوزيف، فأنت لم تلتق بها بعد».

قررت كاتي أن من الأفضل لها أن تبدو قليلة الكلام بدلاً من إعطاء رأيها البارد بها.

- لِمَ لا يرغب في التحدث عنها؟ يجب أن يبدو متحمساً لفكرة إحضارها إلى هنا.

- أنت تعرف برونو، إنه لا يحب الثرثرة.

لم تكن كاتي تنظر إليه وهي تقول ذلك، فقد كانت منشغلة بفتح النافذة لتسمح لنسائم الربيع الخفيفة بالدخول إلى غرفة النوم. لم تر تعابير وجهه، لكن عندما تكلم ثانية، بدا صوته لطيفاً، كأنه يحدث نفسه.

- نعم، إنه يكبح نفسه بقوة.

جلس على المقعد مطلقاً تنهيدة ارتياح، ومدّ يده ليمسك بالكتاب: «أنا سعيد لأنكما تمكنتما من الانسجام معاً. والآن، هل تريدين أن تقرأي لي،

عزيزتي؟»

- لا أستطيع. حسناً، أنا أريد ذلك لكن برونو يريدني أن أنهي له بعض الأعمال التي بدأناها البارحة. .

- في هذه الحالة، اذهبي بسرعة، ولا تدعيه يضغط عليك في العمل.

- آه، لقد تعلمت كيف أرفض عند الحاجة.

ضحكت بنعومة، ووضعت طاولة صغيرة بقربه. وهكذا سيجد مكاناً كي يضع نظارتيه وكوب الماء.

كان برونو بانتظارها وقد أدار ظهره إلى الباب عندما دخلت إلى المكتب بعد مرور عشر دقائق.

توجهت مباشرة إلى الكومبيوتر، فجلست وانتظرته ليبدأ بإطلاق قائمة من التعليمات.

استدار ليواجهها، حاجباً عنها معظم النور القادم من النافذة، وهو يضع يديه في جيبي بنطلونه. ثم قال: «أنا بحاجة لأن أتحدث إليك قليلاً في الواقع بشأن العمل».

- آه، حسناً، هل قمت بما هو خاطىء؟

تجهم وجهها وحاولت أن تتذكر أي كارثة تسببت بها أثناء طباعتها للرسائل.

- لا داعي لأن تظهري كل هذا الانزعاج.

قال برونو ذلك وهو يتحرك مبتعداً عن النافذة ليجلس على كرسيه بعد أن أداره ليتمكن من النظر مباشرة إلى وجهها: «لقد برهنت أنك سكرتيرة كفوءة».

- ما الأمر إذن؟

- فكرت في البداية بأن أعود إلى مكتبي وشقتي في لندن ما إن يخرج جوزيف من المستشفى. لكنني بدأت أفكر الآن أنني لا أستطيع الرحيل في

هذا الوقت بالذات.

في الواقع، لم تفكر كاتي ملياً برحيله.

- لِمَ لا؟

- عليّ الانتظار حتى أشعر بالرضى، وأطمئن إلى أن كل شيء على ما يرام هنا.

أمسك بقلمه وراح يضرب به على مهل على سطح مكتبه ثم تابع قائلاً: «وهذا يعني، كما أخشى، أنك ستستمرين بالعمل معي لفترة أطول قليلاً».

- لكنني أحتاج حقاً لأن أصرف وقتي وانتباهي إلى جوزيف..!

- أنا متأكد من أنه سيتفهم الأمر. كما أنه سيحتاج إلى بعض الوقت قبل أن يعود إلى حياته المعتادة، أليس كذلك؟ لن يبدأ بالجري في المكان ما إن تطؤه قدماه. وإذا ما اضطر الأمر، سنجري معه اتفاقاً بأن تمضي بعض الوقت هنا في المكتب..

علا العبوس وجه كاتي ولم تشعر بالرضى مما سمعته، وقالت: «كيف يمكنك تنفيذ كل ما عليك القيام به إن لم يكن لديك سكرتيرة تعمل بدوام كامل؟»

- دعي هذا الأمر لي.

- إذن، سيكون هناك نوع من.. برنامج؟

- لا تشغلي بالك بهذا الموضوع كاتي.

وقف وراح يسير في الغرفة بخطوات واسعة: «لن يكون هناك برنامج عمل».

ثم توقف قليلاً مخفضاً بصره ليحدق بها وتابع يقول: «يجب أن تكوني مستعدة لتسيري مع التيار».

- لأسير مع التيار!

- بالضبط.

- هل أنت واثق أن ذلك سينجح؟

وجدت من الصعوبة أن تتخيل كيف سيتمكن برونو من تغيير موقعه من شخص منكب على العمل بشكل مخيف إلى رب عمل متراخ «يسير مع التيار» من دون الالتزام ببرنامج عمل محدد.

- إذا كنت ترغب بالبقاء هنا لفترة أطول، وبما أن جوزيف قد عاد، أليس من الأفضل بك أن تتعاقد مع سكرتيرة بدوام كامل؟ ماذا عن إيزابيل؟ ربما تستطيع تولي هذه المهمة. هل تستطيع.. حسناً هل تستطيع مساعدتك في العمل؟

بدا ذلك الاقتراح سخيفاً بما فيه الكفاية، ما دفع برونو ليجلس على حافة مكتبه، وكأنه يعبر عن عدم تصديقه لتلك الفكرة من أساسها.

- لم تقم إيزابيل بعمل ليوم كامل ولو مرة في حياتها كلها. العمل بالنسة إلى إيزابيل يقتصر على اهتمامها بأن تقرر بأي لون عليها أن تطلي أظافرها.

- ولِمَ تفكر بالزواج منها إذا كنت لا توافق على أسلوب حياتها؟

- هل لمحت إلى أنني لا أوافق على أسلوب حياتها؟

ومع ذلك، بدأ برونو يفكر ما الذي تملكه إيزابيل ليعتقد أنها قد تكون المرأة المثالية له. لكنها ستأتي غداً وجوزيف يبدو سعيداً لفكرة أن لديه علاقة جدية مع امرأة، يمكنه معرفة ذلك من كل تلك الأسئلة التي يطرحها عليه. لكن كل هذه الأسباب لا تكفي لتثبت أنها المرأة المطلوبة.

راح يذكر نفسه أنها امرأة أنيقة جداً وجميلة جداً. كما أنها ستكون امرأة متفهمة ومنسجمة معه أمام الناس.

لسوء الحظ، التقت عيناه بعيني كاتي الزرقاوين. إنه ما زال مدركاً أنه متهم من قبلها بشيء ما، وهذا الاتهام يثير أعصابه. ولأنه مضطر للتفسير، قال: «بالإجمال إنها ليست امرأة غير عادية».

- ربما.

- أتمنى فقط أن يحبها جوزيف.

ثم رمق كاتي بنظرة سريعة ملؤها الشك قبل أن يقول: «هل ذكر أي شيء..؟»

- لا.

واخفضت كاتي بصرها لتنظر إلى لوحة مفاتيح الكومبيوتر. فهي لا تعتقد أن جوزيف سيظهر إعجاباً كبيراً بتلك المرأة، لكنها لن تعطي رأيها بذلك ولو بعد ألف سنة. من الواضح أن برونو يراها الشريكة المثالية. وهذا أمر مؤسف كما فكرت كاتي.

في صباح اليوم التالي، أعادت كاتي النظر في رأيها هذا عندما رأت الحيوية البالغة التي تنضح من جوزيف، وهي تساعده في اختيار ثيابه المفضلة ليوم الأحد. ارتدى سترة من التويد مع بنطلون بني اللون. وفيما هما يتناولان الفطور في المطبخ، قالت تمازحه: «تبدو أنيقاً بما يكفي لتقابل الملكة».

لم يكن هناك أي أثر لبرونو في الجوار. وشعرت كاتي بالحزن لفكرة أنه يتحضر لاستقبال ضيفته. ومع مرور الوقت راحت تشعر بأنها شخص لا حاجة لوجوده، وتزايد شعورها بذلك عند الساعة العاشرة، حين انضم برونو إليهما في الحديقة. في ذلك اليوم الجميل في بداية الصيف حيث يسطع نور الشمس بوضوح، بدا وسيماً جداً بقميصه وبنطلونه البني اللون. بدا شعره لامعاً تحت أشعة الشمس، ووجدت كاتي نفسها تحدق فيه كأنها تراه للمرة الأولى في حياتها.

ما كان عليها أن تكون هنا، فهي لا تنتمي إلى هذه الأسرة. إنه اجتماع عائلي. انكمشت على نفسها والتزمت الصمت، فيما راح برونو وعرّابه يتبادلان أطراف الحديث. وأخذت تصغي علّها تسمع صوت سيارة قادمة نحو الطريق الفرعية، وهي تفكر كيف ستتمكن من المغادرة خلسة دون أن ينتبه لها أحد.

في الوقت الذي وصلت فيه السيارة فعلاً، كانت كاتي غارقة في أحد أحلام اليقظة المعقدة التي تتضمن هروبها الوشيك. بالكاد لاحظت عبوس برونو وهو يرمقها بنظراته أو عيني جوزيف هي تراقبهما من أحدهما إلى الآخر. وإذا ببرونو يهمس في أذنها: «أتمنى أن تساهمي في الأحاديث أكثر عندما نصبح في الداخل».

- لماذا؟

لأول مرة، كانت ترغب بأن تلتزم الصمت المطبق. ألا أن عينا برونو اللامعتان الداكنتا اللون ضاقتا وهو يقول لها: «لأنك بذلك تجعلين الأجواء أكثر راحة، ولأن جوزيف قد يشعر أنه أكثر ارتياحاً إذا لم يشعر بأنك تنسجمين من الأحاديث وكأنك تشجبين ما ترينه».

- أنا لا أشجب.

وتمتمت بعد قليل والدهشة تعلو وجهها: «في الواقع، أنا لا أعرف حتى ماذا تعني هذه الكلمة».

- لمَ أنت مقطبة الجبين؟

- أنا لست مقطبة الجبين، لكنني كنت أفكر فقط أن من الأفضل أن أكون في مكان آخر. عندها ستتمكنون أنتم الثلاثة من معرفة بعضكم البعض بارتياح بدلاً من وجودي بقربكم.

- توقفي عن الإحساس بالأسى على نفسك، إنها طريقة مثيرة للسخط. لقد ظننت أنك تخلصت من هذا الشعور.

ثم تركها وهي تفكّر بما قاله وذهب ليفتح الباب الأمامي. مرت عدة دقائق قبل أن تتمكن من نسيان شعورها بأنها متطفلة، وذلك عندما دخلت إيزابيل إلى المنزل وهي تحمل حقيبة يد جلدية. وسرعان ما مدّت يدها الأخرى باتجاه برونو لتعانقه. إنها إحدى أولئك النساء اللواتي يثرن الحيوية في الرجال، كما رأت كاتي. لم يكن فيها أي شيء عادي. ومن زاوية عينها،

لاحظت كاتي أن جوزيف ينظر بدهشة إلى الشقراء الطويلة القامة التي راحت تحاول على الفور لفت انتباهه ما إن بدأت بالتحدث إليه. وما لبثت أن تقدمت نحوه لتعانقه بحرارة فراجت تشده إليها كشخص يقوم بمهمة واضحة مستخدماً كل ما لديه من الحماس لإنجازها.

وتساءلت كاتي إن كان برونو قد فاتحها بموضوع الزواج أم لا! إذ بدا واضحاً أنها تلعب دور العروس المطلوبة بكل ما لديها من مؤهلات. كما لاحظت أن المشهد لم يتقدم كي يشملها، فتراجعت إلى الخلف وبدت سعيدة جداً بذلك، فإيزابيل تثير أعصابها وهي لا تفهم بالتحديد لماذا. ربما لأنها متفوقة في كل شيء؛ ثيابها جريئة وعصرية، صوتها يصل إلى كل زاوية في الغرفة أينما توجهوا، كما لم يبدُ عليها مطلقاً أنها غير قادرة على التحدث في أي موضوع كان. بدا لها ذلك مربكاً حقاً، إذ بدا من الصعب أن تعرف إن كان جوزيف سعيداً بهذه الكتلة من الحيوية أم لا. بدا مهذباً جداً كعادته، بتفهمه وتصرفه النبيل، إذ راح يصغي لأحاديثها وقد أمال رأسه قليلاً إلى جهة واحدة مبدياً المستوى المطلوب من الاهتمام.

عندما قدم الغداء، لاحظت كاتي بعض آثار التعب تبدو حول عينيه، فاقترحت بلطف أن الوقت قد حان ليصعد إلى الطابق العلوي ليرتاح قليلاً. وعندها هتفت إيزابيل: «يا إلهي!»

وأبعدت نظرها عن وجه ماغي الذي علاه الاحمرار بسبب المديح الذي تلقته على طبق السلمون الممتاز الذي قدمته. وتابعت إيزابيل قائلة لكاتي: «عزيزتي، بالكاد تذكرت أنك هنا! إنها أشبه بشيء صغير صامت، أليس كذلك؟»

توقف جوزيف عن السير ووضع يده على الباب، ثم نظر إلى إيزابيل قائلاً: «الصفاء والهدوء.. لطالما اعتبرت هذه الصفات هامة جداً في المرأة».

بدا كلامه أقرب إلى الانتقاد للضيفة، هذا إذا كان لجوزيف أن يوجه انتقاداً ما، بسبب الإحراج لكاتي. أما هذه الأخيرة، فغرقت في الصمت

أكثر فأكثر، وغدت عرضة لتحديق إيزابيل ولنظرات برونو المتأملة المتسمة بالغموض.

قامت إيزابيل بالالتفاف على الموضوع بسرعة، فقالت: «آه، بالطبع!»

ثم سارت نحو برونو والتصقت به وهي تتابع: «من المؤسف حقا أن المرأة الهادئة هي امرأة غير منظورة في لندن، أليس كذلك عزيزي؟»

ورفعت بصرها إلى برونو لتؤكد كلامها: «ومثل هذه الصفات لا تنسجم على الإطلاق مع الحياة التي نعيشها».

وأظهرت ابتسامتها بوضوح أنها تحدد صلاحياتها ومجالها، وتضع نفسها في مقام الزوجة المثالية للرجل الذي يقف إلى جانبها. من فوق رأسها التقت عينا برونو بعيني كاتي، فأبعدت بصرها إلى البعيد بسرعة، لكن قلبها راح يخفق بقوة وقد شعرت بالإحراج من ذلك الكلام المهين.

قالت كاتي وهي تسير متجهة نحو جوزيف: «إن الحياة في لندن محمومة جداً يا جوزيف حيث يحتاج المرء لأن يكون عدوانياً».

وأجبرت نفسها على الابتسام ثم تابعت: «والآن، هيا إلى السرير، عليك أن تنام قليلاً. هل تريدني أن أقرأ لك؟»

واستدارت لتنظر إلى برونو وإيزابيل، ولاحظت أنه ابتعد عنها ليسكب لنفسه شراباً، تاركاً خطيبته واقفة وحدها في وسط الغرفة. وقالت كاتي: «وعدني جوزيف بأن يضع قدمه في البركة بعد الظهر..».

فسألها برونو: «وأنت ذاهبة... إلى أين..؟»

- عفواً!

- فهمت أنك تودين الاختفاء عندما يذهب جوزيف إلى سريره. لِمَ لا تأتين وتنضمين إلينا، أنا وإيزابيل، في بركة السباحة؟

كان برونو يقف متكئاً على الخزانة ويحدق بها من فوق حافة كوبه، ولم تفارق عيناه وجهها. شعرت كاتي بقوة شخصيته تؤثر فيها كالعاصفة الهوجاء

على الرغم من اتساع الغرفة، ما جعلها تتراجع خطوة إلى الوراء وهي تشعر بالارتباك.

- أنا.. شكراً لك. لكن أعتقد أنني..

- لقد اشتريت ثوباً للسباحة، أليس كذلك؟

إيزابيل التي كانت تقف بمفردها في وسط الغرفة، لم تلاحظ بالتأكيد الرسائل المتوترة التي يحملها هذا الحوار الذي يدور أمامها. لأنها سارت ببساطة نحو برونو، الذي بدا أنه لم يلاحظها على الإطلاق.

- نعم، بالطبع فعلت!

علا الاحمرار وجه كاتي وقد بدا عليها الشعور بالخجل وأبعدت نظرها عنه. هل عليه أن يعاملها كشخص أدنى منه منزلة؟ الآن، وفي حضور صديقته، هذا عمل لا يغتفر. المشكلة هي أنها تفتقر إلى إيجاد الكلام المناسب لتخبره بذلك، فهي ليست ماهرة باختيار الكلمات. ابتلعت تلك الإهانة ولازمت الصمت. وإذا بإيزابيل تقول له موبخة: «لا تحرج الفتاة المسكينة».

ثم نظرت إلى كاتي بعينين باردتين كشظايا الثلج لتقول: «لا تشغلي بالك إن لم يكن لديك ثوب سباحة، فهذه ليست نهاية العالم، لقد أحضرت معي ثوبين للسباحة، وسوف أعيرك أحدهما. لكن..»

وتجولت نظراتها على جسم كاتي النحيل والمغطى بثوبها الواسع الفضفاض ثم تابعت قائلة: «من المحتمل ألاّ يناسبك، فقياسانا مختلفان تماماً».

كانت كاتي تدرك هذا الأمر وهي تشعر بالسخط حياله بما يكفي، ولم يكن هناك ما يمكنها قوله لتدحض هذا الكلام الواضح. فإيزابيل فارعة الطول، جميلة، يمكنها أن تلفت انتباه الرجال وتدير رؤوسهم. أما هي، فصغيرة الجسم نحيلة. أسرعت بالخروج من الغرفة مظهرة ثقة بالنفس لم تكن تشعر بها وذلك على الرغم من الظروف المحيطة بها.

ما إن أصبحا بعيداً عن برونو وإيزابيل حتى قال جوزيف: «امرأة كريهة!»

أجابت كاتي بحزن: «لكنها جميلة، وهذا لا يعني أنني أقول إنها كريهة. كل ما في الأمر هو أنك عندما تكون جميلاً بهذا القدر.. يصبح من السهل جداً أن تتجاهل وجود الآخرين».

وتنهدت مفكرة في سرها: كالأشخاص البسطاء العاديين مثلي.

قال جوزيف: «لا أعرف ما الذي يراه فيها»

وتابع يقول وهو يسير على الدرج ببطء: «المشكلة مع الناس الذين يتمتعون بدرجة كبيرة من الجمال أنهم منشغلون دائماً بأنفسهم».

علّقت كاتي بسرعة: «وبرونو جميل أيضاً».

- هل تعتقدين ذلك حقاً؟

قالت بنبرة متوترة: «أقصد، من وجهة نظر موضوعية. كلاهما جميلان، وهما يشكلان ثنائياً رائعاً».

- ما مدى جدية العلاقة بينهما؟ هل أخبرك بذلك؟ هل ذكر لك شيئاً..؟

أرادت كاتي أن تتملص من الإجابة فاقترحت قائلة: «إذا كنت مهتماً بمعرفة ذلك، يمكنك أن تسأله بنفسك».

- قد أفعل ذلك. والآن، لا داعي لتمضي الوقت وأنت تقرأين لي. فأنا أفضل أن أرتاح قليلاً، لا سيما إذا أردت أن أبدأ بالسباحة هذا اليوم.

- يمكنك الجلوس قرب البركة جوزيف. لا أحد يطلب منك أن تغطس وتقطع البركة سابحاً من جانب إلى آخر.

- ستأتين معي، أليس كذلك؟ أقصد، هل اشتريت ثوباً للسباحة حقاً؟

وابتسم لها ابتسامة ماكرة ما جعلها تضحك قائلة: «نعم، فعلت».

- حسناً، سننتظر إلى وقت متأخر.. إلى أن تخرج المرأة الخبيثة من بركة السباحة.

– هذا كلام غير لطيف، جوزيف!

وجدت صعوبة في عدم التجاوب والضحك من هذا الوصف، ومع ذلك فقد أثار كلام جوزيف مخيلتها، فإيزابيل لا تبدو لها سبّاحة ماهرة. ربما مستمتع بالتمدد بالقرب من بركة السباحة وهي ترتدي ثوب سباحة يكشف عن مفاتن جسدها. وعندما تصاب بالضجر لن تتردد في الدخول إلى المنزل. أما برونو، فمن الطبيعي أنه سيتبعها. عندئذٍ، سوف تحظى هي وجوزيف بنصف ساعة من الاسترخاء في ذلك المبنى الزجاجي.

انتظرت مدة كافية من الوقت، إلى أن يتمكن برونو وإيزابيل من تبديل ملابسهما والذهاب إلى بركة السباحة، ثم توجهت لتجلس قرب النافذة وهي تحمل كتاباً. في الظروف العادية، كانت لتمضي الساعتين التاليتين مستغرقة في عالم آخر وهي تقرأ هذا الكتاب، الذي هو عبارة عن سيرة ذاتية مشوقة. إلا أنها فوجئت بنفسها بعد نصف ساعة، عندما أدركت أنها لم تتمكن من قراءة أكثر من صفحة ونصف الصفحة. وأدركت أيضاً، وهي تشعر بالذنب، أنها أمضت معظم الوقت وهي تفكر بإيزابيل وبرونو، متسائلة ما الذي يفعلانه. هل يسبحان؟ أم يقفزان إلى الماء بمرح.

سمعت أصواتاً ووقع خطوات تقترب منها. فنهضت بسرعة عن المقعد وهي تمسك الكتاب بيدها بقوة، وقبل أن تتمكن من استجماع نفسها، كانا هناك. كان برونو مرتدياً قميصه دون أن يقفل أزرارها ما أبرز عضلات جسمه البرونزية اللون. أما إيزابيل فبدت في الواقع كأنها شبه عارية، وقد ارتدت ثوب سباحة من قطعتين زهري اللون، فبدت ساقاها طويلتين إلى ما لا نهاية. فقالت كاتي: «كنت أقرأ فقط! كيف وجدتما البركة؟ هل استمتعتما بوقتكما؟»

سار برونو إلى داخل الغرفة، ورمى بنفسه على أحد المقاعد، قائلاً: «كان عليك القدوم معنا. من المؤسف ألاّ تكوني أوّل من يستخدم البركة للسباحة، بينما أنت المسؤولة الوحيدة عن تجديدها وجعلها تبدو كما هي الآن».

كان يحرك نظارتيه الشمسيتين بتراخ بيده، ثم نظر إلى إيزابيل وتابع يقول: «لمَ لاتذهبين وتبدلي ثيابك؟ إنها.. الخامسة تقريباً. يمكنك الانضمام إليّ لتناول الشاي في غرفة الجلوس حوالى الساعة السابعة. أحتاج للقيام بالقليل من الأعمال».

زمّت إيزابيل شفتيها وقالت: «أستعمل يوم الأحد برونو؟»

– آلات صنع المال لا تنام أبداً إيزابيل. ومن المؤكد أنها لا تأخذ نهار عطلة.

ثم تنهد ونظر إليها بانتباه تام: «سأحاول أن أعمل أقل وقت ممكن».

ليبتسم لها أخيراً ابتسامة قادرة على إذابة الثلج قبل أن يتابع قائلاً: «في الواقع، لمَ لا تصعدين إلى الطابق الأعلى وتنتظرينني؟ سأنضم إليك في إسرع وقت ممكن..»

لم تعد كاتي تعرف إلى أين ستنظر، راحت تتحرك بارتباك وهي تلتزم الصمت، ثم أخذت تحدق بالأرض وتضغط بأصابعها بقوة على الكتاب، منتظرة منه أن يغادر الغرفة. لكنه لم يفعل. وأخيراً خاطرت برفع بصرها نحوه فوجدت أنه ينظر إليها. وإذا به يقول بحدة: «ها أنت تفعلين ذلك ثانية! وقبل أن تسأليني ما الذي تفعلينه، أقول لك إنك تبدين كأرنب مذعور وجد نفسه تحت أضواء ساطعة. اجلسي، لمَ لا تجلسين؟»

– اعتقدت أنك ستذهب للقيام ببعض الأعمال.

– لدي بريد الكتروني عليّ أن أرسله، ولن يأخذ أكثر من عدة دقائق.

جلست كاتي وهي تشعر بحضوره بقوة كبيرة، وفتحت الكتاب أمامها وراحت تحدق بالصفحة الأولى.

– هل ستتابعين القراءة؟

– عفواً!

– لم أتوقع منك أن تجلسي وتقرأي وأنا معك في الغرفة.

قال لها برونو ذلك بعجرفة كبيرة ما جعلها تطلق شهقة قبل أن تسأله: «هل تريدني أن أصعد إلى الطابق العلوي؟»

- لم تعجبه، أليس كذلك؟

دون مراوغة أو أي نوع من الأسئلة التمهيدية، دخل مباشرة إلى صلب الموضوع. أغلقت كاتي الكتاب، والتقت عيناها بعيني برونو السوداوين المتألقتين بحزم. وقال: «لم يحبها، أعرف ذلك. بالإضافة إلى ذلك، لقد كانت فكرة سخيفة فكرة إحضارها إلى هنا. ما الذي قاله لك؟ ولا تزعجي نفسك بأن تحاولي المراوغة، كاتي».

لقد أمسك بها عند طرف الصنارة. تنحنحت، وحاولت أن تقول بصوت هادىء: «أعتقد أنه يظن أنها.. تحب السيطرة.. قليلاً..»

- أنت لم تلمّحي له بأن زواجي بها أمر محتمل، أليس كذلك ؟

قالت معترضة بقوة: «بالطبع لا! أنت طلبت مني ألاّ أخبره بشيء، وأنا لم أفعل».

أرادت أن تسأله بيأس: لماذا؟ هل لديك أفكار أخرى بهذا الشأن؟ وفي هذه اللحظة بالذات، وكقذيفة من نور أتت من مكان مجهول، أدركت أن هذا ما كانت تأمله، تمنت أن ينتهي كل ما خطط له إلى الفشل، لأنها على ما يبدو بدأت تفكر بما لا مجال للتفكير فيه؛ بدأت تراه كرجل بالغ الجاذبية، حيث وجدت نفسها منجذبة إليه بعمق، ولم تعد تنظر إليه كرب عمل مؤقت ذي قلب بارد كالثلج.

ها قد بدأت الصورة تتضح أمامها. إحساسها الدائم بالتوتر والحماسة في كل مرة تكون بقربه، وكأنه يبعث في داخلها طاقة كبيرة من الحياة. ملاحقة نظراتها له واهتمامها به حتى عندما تكون نظراتها بعيدة عنه.. في الحقيقة، إنها تشعر به حتى لو لم يكن في متناول بصرها! واخيراً، كل تلك الأفكار غير المرحّبة بإيزابيل هي ذات جذور قوية، إنها تشبه مشاعر الغيرة القديمة الطراز.

أتراها تعتقد حقاً أنه سيتخلى عن شريكة تناسبه بشكل مثالي كإيزابيل، فقط لأن جوزيف لم يشعر بالانجذاب الفوري نحوها؟ إنه يرى الأمور من خلال رأسه لا من خلال قلبه. أما إذا كان ينوي أن يطلب منها القيام بحملة لصالح إيزابيل عند عرابه... وقفت وقد علا التصميم تعابير وجهها.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

- سوف أتركك كي تقوم بعملك، كما أن..

نظرت إلى ساعتها باهتمام واضح وتابعت: «حان الوقت كي يبدأ جوزيف تمارينه الرياضية الخفيفة في البركة».

كادت تشعر بالغضب الصامت يتصاعد من برونو وهو ما يزال يحدّق بها، لكنها أكملت كلامها دون مبالاة: «أعتقد أنه يرغب في السباحة أكثر مما يبدو عليه».

ظلت في مكانها للحظات قليلة، وقد توقعت منه أن يطلب منها البقاء ليتحدث معها. وأخافها ذلك، لأنه إذا ما بدأ باستدراجها في الكلام، فالله وحده يعلم ما الذي سيحدث. لكن برونو لم يفعل. وعلى الرغم من ذلك صعدت كاتي السلالم شبه راكضة، ولم تتوقف إلا لتخبر جوزيف أن بإمكانهما التوجه إلى البركة، وهي في طريقها إلى غرفتها.

قال جوزيف هامساً بنبرة صوت ماكرة: «هل الحلبة فارغة؟ قد أكون عجوزاً لكن مع ذلك لا أرغب بأن يراني أحد..»

أعرف هذا الشعور! هذا ما فكرت به كاتي بعد ربع ساعة وهي تغلق خلفها باب المبنى الزجاجي حيث تقع بركة السباحة. لحسن الحظ أن المنزل بدا غارقاً في الصمت وهما ينزلان الدرج. خلعت رداءها الذي كانت تضعه فوق ثوب السباحة. ذلك الثوب المتواضع الأسود اللون الذي يتكون من قطعة واحدة، وعلى صدره بعض الدانتيل والمربوط بقوة إلى عنقها.

ليس هذا ما رآه برونو عندما دخل إلى المكان بعد مرور نصف ساعة وهو

قال لها برونو ذلك بعجرفة كبيرة ما جعلها تطلق شهقة قبل أن تسأله: «هل تريدني أن أصعد إلى الطابق العلوي؟»

- لم تعجبه، أليس كذلك؟

دون مراوغة أو أي نوع من الأسئلة التمهيدية، دخل مباشرة إلى صلب الموضوع. أغلقت كاتي الكتاب، والتقت عيناها بعيني برونو السوداوين المتألقتين بحزم. وقال: «لم يحبها، أعرف ذلك. بالإضافة إلى ذلك، لقد كانت فكرة سخيفة فكرة إحضارها إلى هنا. ما الذي قاله لك؟ ولا تزعجي نفسك بأن تحاولي المراوغة، كاتي».

لقد أمسك بها عند طرف الصنارة. تنحنحت، وحاولت أن تقول بصوت هادىء: «أعتقد أنه يظن أنها.. تحب السيطرة.. قليلاً..»

- أنت لم تلمّحي له بأن زواجي بها أمر محتمل، أليس كذلك؟

قالت معترضة بقوة: «بالطبع لا! أنت طلبت مني ألاّ أخبره بشيء، وأنا لم أفعل».

أرادت أن تسأله بيأس: لماذا؟ هل لديك أفكار أخرى بهذا الشأن؟ وفي هذه اللحظة بالذات، وكقذيفة من نور أتت من مكان مجهول، أدركت أن هذا ما كانت تأمله، تمنت أن ينتهي كل ما خطط له إلى الفشل، لأنها على ما يبدو بدأت تفكر بما لا مجال للتفكير فيه؛ بدأت تراه كرجل بالغ الجاذبية، حيث وجدت نفسها منجذبة إليه بعمق، ولم تعد تنظر إليه كرب عمل مؤقت ذي قلب بارد كالثلج.

ها قد بدأت الصورة تتضح أمامها. إحساسها الدائم بالتوتر والحماسة في كل مرة تكون بقربه، وكأنه يبعث في داخلها طاقة كبيرة من الحياة. ملاحقة نظراتها له واهتمامها به حتى عندما تكون نظراتها بعيدة عنه.. في الحقيقة، إنها تشعر به حتى لو لم يكن في متناول بصرها! واخيراً، كل تلك الأفكار غير المرحّبة بإيزابيل هي ذات جذور قوية، إنها تشبه مشاعر الغيرة القديمة الطراز.

أتراها تعتقد حقاً أنه سيتخلى عن شريكة تناسبه بشكل مثالي كإيزابيل، فقط لأن جوزيف لم يشعر بالانجذاب الفوري نحوها؟ إنه يرى الأمور من خلال رأسه لا من خلال قلبه. أما إذا كان ينوي أن يطلب منها القيام بحملة لصالح إيزابيل عند عرابه... وقفت وقد علا التصميم تعابير وجهها.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

- سوف أتركك كي تقوم بعملك، كما أن..

نظرت إلى ساعتها باهتمام واضح وتابعت: «حان الوقت كي يبدأ جوزيف تمارينه الرياضية الخفيفة في البركة».

كادت تشعر بالغضب الصامت يتصاعد من برونو وهو ما يزال يحدّق بها، لكنها أكملت كلامها دون مبالاة: «أعتقد أنه يرغب في السباحة أكثر مما يبدو عليه».

ظلت في مكانها للحظات قليلة، وقد توقعت منه أن يطلب منها البقاء ليتحدث معها. وأخافها ذلك، لأنه إذا ما بدأ باستدراجها في الكلام، فالله وحده يعلم ما الذي سيحدث. لكن برونو لم يفعل. وعلى الرغم من ذلك صعدت كاتي السلالم شبه راكضة، ولم تتوقف إلا لتخبر جوزيف أن بإمكانهما التوجه إلى البركة، وهي في طريقها إلى غرفتها.

قال جوزيف هامساً بنبرة صوت ماكرة: «هل الحلبة فارغة؟ قد أكون عجوزاً لكن مع ذلك لا أرغب بأن يراني أحد..»

أعرف هذا الشعور! هذا ما فكرت به كاتي بعد ربع ساعة وهي تغلق خلفها باب المبنى الزجاجي حيث تقع بركة السباحة. لحسن الحظ أن المنزل بدا غارقاً في الصمت وهما ينزلان الدرج. خلعت رداءها الذي كانت تضعه فوق ثوب السباحة. ذلك الثوب المتواضع الأسود اللون الذي يتكون من قطعة واحدة، وعلى صدره بعض الدانتيل والمربوط بقوة إلى عنقها.

ليس هذا ما رآه برونو عندما دخل إلى المكان بعد مرور نصف ساعة وهو

يسير بهدوء. بدا واضحاً أن عرّابه قد أنهى تمارينه، وهو يجلس الآن بارتياح على أحد المقاعد مغمض العينين، وقد وضع كتاباً في حضنه. وهناك، رآها.. خرجت كاتي من الماء ولم تكن تنظر مطلقاً إلى ناحيته. أخفضت رأسها لتعصر شعرها بيديها، وقد وضعت إحدى قدميها على حافة البركة، بينما القدم الأخرى ما تزال على السلم داخل الماء.

وجد نفسه يحبس انفاسه، وهو ينظر إلى كاتي.. إلى جسمها التي كانت تخفيه دوماً بشكل جيد. إنها تملك ساقين متناسقتين، وجسم نحيل، وبشرة ناعمة كالحرير. لم يستطع إبعاد عينيه عنها، ولم يكن واثقاً كم من الوقت سيبقى واقفاً هناك وهو يراقبها، لو أنها، في تلك اللحظة لم ترفع نظرها وتلاحظ وجوده.

٦ - لا تأسفي!

غمر كاتي إحساس بطيء بالحرارة ما إن التقت عيناها عيني برونو. ها هو برونو ينظر إليها! إنه حقاً ينظر إليها. وهذه المرة لم يبد في تعابير وجهه أي تشتت. راح ينقل نظره فوق جسمها يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها. تحرك إلى الأمام ما جعلها تجفل وتقفز من مكانها، وعلى الفور غطت نفسها بذراعيها في حركة دفاعية لا شعورية، كأنها تحاول إخفاء جسمها الذي اعتبرته دائماً غير جذاب.

كانت خفقات قلبها تدق كالمطرقة وكادت تصرخ محذرة وهو يسير نحوها قائلاً بخشونة: «لا تفعلي ذلك!»

ردّت متلعثمة: «لا.. لا أفعل ماذا؟»

والآن، بعد أن استوعبت صدمة وجوده هنا، سيطر عليها شعور بالخجل. ومع أنها تعلم أن ثوب السباحة الذي ترتديه محتشم جداً إلا أنها شعرت وكأنها تقف عارية أمامه. والأسوأ من ذلك أن كل خلية من خلايا جسمها أبدت تجاوباً لرؤية برونو. وقال بصوت أجش: «لا تحاولي أن تغطي جسمك هكذا».

احمر وجه كاتي وشعرت بارتباك كبير ثم نظرت من فوق كتفها يائسة، فقال برونو وهو يتبع نظراتها ويقرأ ما تفكر به: «إنه نائم. لا بد أن التمارين الخفيفة قد أرهقته».

وعادت عيناه المشعتان لتركزا عليها.

- نعم. حسناً.. في الواقع، قام بذلك بطريقة جيدة..

- لِمَ ترتدين دوماً تلك الثياب الغريبة؟.. ثياباً فضفاضة تخفي جسمك تماماً؟

وبدا كأنه لا يستطيع السيطرة على نفسه، فعاد ينظر إلى جسمها وهو يتابع قائلاً: «لم أكن أتوقع أبداً أن يكون لديك مثل هذا الجسم..»

وهمست كاتي: «ماذا تعني؟»

- لديك جسم رشيق، ناعم كالحرير.

- لا، لا، لا..

هزت كاتي رأسها للتخلص من تأثير صوته، وقالت: «اسمع، بدأت أشعر بالبرد. أحتاج لأضع الرداء على جسمي، كما أن جوزيف.. عليه أن ينهض الآن، وإلاّ سيكون في مزاج سيء حين يستيقظ».

تمتم برونو: «هل ترتجفين بسبب البرد أم بسببي أنا؟»

لم تكن مستعدة لسماع سؤاله هذا. فغرت فاها وهي تشعر بصدمة كبيرة. أما هو فلم يبدُ عليه أي أثر للندم.

قالت وهي لم تستفق بعد من صدمتها: «يجب ألاّ تتحدث معي هكذا، فلديك.. خطيبة..»

- هذا أمر ما زال قيد الدرس. وفي الواقع، أنت لم تجيبي بعد على سؤالي.

شعر برونو أنه يواجه الآن أمراً خطيراً لم يواجهه من قبل. نظر إليها ملياً، وأدرك أن ما تشعر به من أحاسيس يختلف كلياً عما يعلنه وجهها المرتعب.

قررت أن تتجاهل سؤاله بالمطلق، وقررت أيضاً أن تتوقف عن رفع رقبتها لتنظر إليه، لأن عينيه السوداوين اللامعتين تجذبانها إليه أكثر فأكثر. ركزت نظرها على صدره بدلاً من عينيه، ولم ذلك بالقرار الصائب على الإطلاق!

رفع برونو كتفيه ببساطة وقال: «قررت أن لا جدوى من التسرع في أمر هام كالزواج. وربما، إيزابيل ليست الشريكة المثالية التي ظننتها».

بدأت كاتي تقول: «لكنني ظننت..»

بدت متحمسة لتكتشف هذا التطور الجديد، وأكثر حماسة لتتخلص من تأثيره عليها، فتابعت: «.. ظننت أنها تملك الصفات الأساسية التي تجعلها زوجة مثالية».

أبعد برونو يديه عن ذراعيها، ربما ليمنحها وقتاً للتفكير. وأدركت كاتي بغرابة أنها افتقدت على الفور لتلك الحرارة التي كانت تنبعث من يديه لتغمر كل أنحاء جسمها.

- ربما هي لا تملك كل الصفات..

قال ذلك دون أن يبدو على وجهه أي تعبير. وضع يديه في جيبيه ونظر من فوق كتفها حيث رأى أن جوزيف ما زال يرقد بارتياح على المقعد، ثم أعاد نظراته إلى وجهها المرتبك. قالت كاتي باستغراب: «آه، أحقاً؟»

حاولت أن تتخيل ما الذي تفتقده إيزابيل بالتحديد.. وتوصلت إلى الاستنتاج التالي: إذا كانت إيزابيل تفتقد أي شيء، فلا بد أن برونو يبحث عن المستحيل. لأنها تمتلك كل المواصفات المطلوبة، هذا إذا لم يكن الحب من ضمن المعادلة. وافترضت أن ردة فعل جوزيف هي التي جعلت ابنه بالعمادة يعيد التفكير في الموضوع.

- ألن تسأليني ما هي تلك الحلقة المفقودة؟

أجبرت كاتي نفسها على السؤال: «حسناً، ما هي تلك الحلقة؟»

- هذه..

ما هو إلا جزء من الثانية فقط، حتى فهمت كاتي ما الذي ينوي فعله. غمرتها موجة من الإثارة وشعرت بالدفء يغمر كيانها. وبدا كأن الزمن قد توقف، وتوقف معه إحساسها بكل ما يحيط بها، ولم يعد هناك في العالم سواهما، هما الإثنان. ما إن انحنى برونو ليعانقها حتى تحرك جسدها تلقائياً لملاقاته. بدأ عناقه ناعماً لطيفاً ليصبح في ما بعد أكثر عمقاً وتطلباً. أما هي

فراحت أصابعها تعبث بشعره، ناسية كل ما حولها، وأين هي. نسيت أمر جوزيف الذي يرتاح على المقعد على بعد خطوات منهما، كما نسيت أن برونو رجل خطير لا يمكن لامرأة سليمة العقل أن تتعلق به إلا إذا كانت لديها رغبة بالانتحار.

فتح الباب بقوة، لكن كاتي لم تشعر بذلك. رمشت بعينيها حين ابتعد برونو عنها بسرعة، ونظرت إلى حيث ينظر.. هناك رأت إيزابيل، وقد تحول وجهها إلى لوحة حجرية تنضح بالغضب. وقبل أن تتمكن من فتح فمها، سار برونو نحوها. في تلك اللحظة، نظرت كاتي حولها بيأس لترى أن جوزيف لا زال مغمض العينين. وتساءلت كيف يمكنه أن يستمر في النوم مع كل ما يجري.

تسمرت مكانها تراقب برونو وهو يقود إيزابيل خارج المكان، وقد أمسك يدها بقوة. عندئذٍ، التقطت كاتي رداءها وارتدته بسرعة. لم تكن تستطيع أن تترك جوزيف حيث هو. فإذا استيقظ ووجد أنها رحلت سوف يصاب بالقلق. هزته بلطف وهي تقول: «جوزيف، حان الوقت لنغادر».

راح رأسها يعمل بسرعة محللاً ما جرى معها. لقد عانقها برونو، وشعرت كأنها تحلق في السماء، ولم تفكر لحظة واحدة بإبعاده عنها.

- هل أنت بخير، عزيزتي؟ تبدين قلقة.. قليلاً..

وجد من الصعب عليه ألا يبتسم، أو على الأقل ألا يلمح لها بكلمة حول ما يظنه الشباب بالنسبة لكبار السن.. أيظنون أنهم لا يجيدون سوى الاسترخاء مغمضي العينين على المقاعد بالقرب من بركة السباحة، بينما هي وبرونو ملتصقان ببعضهما البعض في عناق طويل؟ كانت مفاجأة له أن يفتح عينيه ويراقب ما يجري أمامه. كاد يقفز من الفرح، لكنه لم يفعل. قد يكون رجلاً عجوزاً، لكنه يعرف الانجذاب المتبادل عندما يراه. وإذا فكر بالأمر، فقد رأى ملامح ذلك الإعجاب منذ كان في المستشفى وكانا يأتيان لزيارته. وهو يعلم أن من الأفضل أن لا يحاول التدخل بإعطاء رأيه. على أي حال،

ما الذي سيتدخل بشأنه؟ برونو وكاتي هما أغلى الناس على قلبه، وهو لا يستطيع التفكير بشيء أفضل من رؤيتهما معاً. برونو لا يناسب إيزابيل مطلقاً، مع أنه يتخيل أنه كذلك.

- قلقة!

تمكنت كاتي من أن تضحك بمرح بطريقة ما وتابعت: «بشأن ماذا؟»

ووجد جوزيف ملاذاً بالتمتمة وسمح لها بأن تساعده في العودة إلى المنزل، دون أن يغفل كيف راحت تحاول إبعاده بشتى الطرق عن غرفة الجلوس، حيث ابنه بالعمادة، الذي يأمل جوزيف أن يكون قد عاد إلى رشده، فيعمل على التخلص من تلك الخبيثة دون أي تأخير.

- أين برونو و.. و..؟ آه، يبدو أني نسيت اسم تلك السيدة. إنه التقدم في السن، كما تعلمين..

نظرت كاتي إليه وقد رفعت حاجبيها. شعرت أنها أكثر هدوءاً وجوزيف إلى جانبها. شيء ما في طبعه الهادىء يفرض نفسه عليها.

- اسمها إيزابيل، جوزيف. وأنت تعرف ذلك جيداً. وهما في مكان ما هنا..

واشارت بيدها بغموض إلى أنحاء المنزل حيث لا يمكن أن يكونا.

- ربما يجب أن نذهب لرؤيتها. فقط من قبيل التهذيب!

قالت كاتي بسرعة: «آه، لا. إنهما.. ربما هما منشغلان. سنراهما في وقت لاحق».

وتخيلت جوزيف يدخل عليهما وهما وسط شجار كبير، وارتجفت للفكرة. فما رأته في وجه إيزابيل لا يدل مطلقاً على ردة فعل هادئة. حبيبها ومساعدة صاحب المنزل.. هذا ما تفكر به بالتأكيد، فكاتي تعلم أنها لا ترى فيها أكثر من ذلك. أما هي، فلم تكن تتخيل مطلقاً أنها قد تضع نفسها في موقف محرج ومذل كهذا.

ازداد إحساسها بالذنب مع كل خطوة تخطوها، وعندما تمكنت أخيراً من ترك جوزيف في المستنبت ليقرأ جريدته ويشرب فنجاناً من الشاي، أصبحت مقتنعة بأن تركها لبرونو بمفرده ليتعامل مع فورة غضب إيزابيل هو أمر خاطىء من قبلها. قد تحتاج لاستجماع شجاعتها بأكملها لتشرح لها الأمر، لكنها تشعر، من الناحية الأخلاقية، بأنها مجبرة على مواجهة إيزابيل، وذلك لوضع الأمور في نصابها على الأقل. إن عناقهما قد حدث فجأة وهو لا يعني شيئاً، كما أنه لن يتكرر مطلقاً. ما إن رآها جوزيف تسير نحو الباب حتى قال لها: «إلى أين أنت ذاهبة الآن؟ تبدين كقطة على سطح من الصفيح الساخن».

– آه، إلى.. أنت تعلم، عليّ أن أبدل ثيابي واستحم. فأنا ما زلت أرتدي ثوب السباحة.

كان جوزيف قد بدل ثيابه في غرفة تغيير الملابس بالقرب من بركة السباحة، وهو الآن يرتدي بنطلوناً وقميصاً نظيفين، ويبدو غاية في الأناقة. وتابعت كاتي تقول: «كما فكرت بأن أسأل برونو وإيزابيل إن كانا يودان تناول الشاي».

– الشاي!

– حسناً، أي شيء يرغبان به.

أطلق جوزيف تنهيدة ثم أومأ برأسه موافقاً، فخرجت كاتي من الغرفة، وسارت عبر القاعة الأمامية متجهة إلى غرفة الجلوس. سمعت صوتيهما قبل أن تقرع على الباب، إنهما على الأقل لا يصرخان. لم تستطع سماع أي صوت عبر الغرفة، أتراهما تعانقا وتصالحا؟ إذا كان هذا ما حصل، فذلك يعني أن المشكلة قد حلت، هذا ما قالته لنفسها بحزم. عندها لن تقوم بأي تفسير، ويمكنها أن تعود إلى لعب دور المساعدة التي أثارت اهتمام برونو لمدة خمس دقائق لا أكثر. أخذت نفساً عميقاً ثم قرعت الباب وفتحته في الوقت نفسه.

أدار كلاهما رأسه باتجاهها. بدا برونو هادئاً بشكل لا يصدق. لم تكن لديها أي فكرة عما يدور في رأسه. فملامح وجهه بدت مقفلة ولا تظهر شيئاً.

وعلى العكس من ذلك تماماً، بدا لها بوضوح ما يدور في رأس إيزابيل. شعرت كاتي بالصدمة وهي ترى الغضب على وجه إيزابيل، فعلى الرغم من أنها لم تكن تصرخ إلا أن الغضب بدا واضحاً على وجهها. ما إن رأتها حتى قالت: «ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟»

وتقدمت خطوتين باتجاه الباب، ما جعل كاتي تتمسك بمقبض الباب بقوة بأصابع مرتجفة.

– أردت أن أشرح.

قال برونو من دون أن يتحرك من مكانه أو يرفع صوته: «لا داعي لذلك، لا علاقة لك بالأمر».

شعرت كاتي كأنه صفعها على وجهها. لكنها مع ذلك وقفت في مكانها، محاولة ألاّ تفقد شيئاً من تماسكها. سمعت صوتاً صغيراً في داخلها يضحك منها، ويسألها كيف تخيلت أنها أكثر من لاعبة صغيرة في هذه المسرحية. ذلك العناق لم يعنِ شيئاً لبرونو ومن المؤكد أنه لم يؤثر على شعوره نحو إيزابيل.

– لا علاقة لها بالأمر؟

أدارت إيزابيل رأسها بسرعة، وضاقت عيناها وهي تنظر إلى قامته الفارعة وهو يقف بالقرب من النافذة، ثم تابعت تقول: «دعوتني إلى هنا لأقابل عرابك، وجعلتني أعتقد أن العلاقة بيننا جدية، لأراك بعدها تظهر حباً وإعجاباً بالموظفة لديك؟

نظر إليها برونو ببرودة وقال: «لقد انتهى الأمر إيزابيل. وبصراحة، لا أجد أن شيئاً يمكن أن يقال بعد في هذا الموضوع».

شعرت كاتي أن ما قاله مهين جداً، وأحست بالألم وبالتعاطف مع إيزابيل. دخلت إلى الغرفة بتردد، وهي تشد رداءها على خصرها، ثم تنحنحت لكي يبدو صوتها هادئاً وقالت: «إيزابيل، أردت فقط أن أقول إن الذي رأيته.. حسناً.. لا يعني شيئاً..»

- وهل تتوقعين مني حقاً أن أصدق ما تقولينه؟

واستدارت كلياً بعيداً عن برونو، وفي الحقيقة شعرت كاتي بأنها لا تلومها على غضبها هذا، أما برونو فقد بدت تعابير وجهه باردة ومخيفة إلى حد بعيد.

- إنها الحقيقة!

- لقد اختليتما في هذا المكان لأسابيع بحجة العمل معاً، وتريدينني أن أصدق أن شيئاً لم يحدث بينكما وفي اليوم الذي جئت فيه أنا إلى هنا، وجدتما نفسيكما تتعانقان كأنكما مراهقان؟

- حسناً، هذا صحيح!

- لا أستطيع تصديق ذلك.

ثم ركزت نظراتها الغاضبة على برونو وتابعت تقول: «لا أصدق أنك وغد بهذا الشكل. لا أصدق أن بإمكانك أن تجعلني أتعلق بك لأشهر لتذهب بعدها فترمي بين ذراعي امرأة أخرى. مساعدة عرّابك، بحق الله! ومن دون أن تلتفت وراءك».

- دعي كاتي خارج الموضوع.

هذا كل ما قاله برونو وبصوت منخفض جداً.

- كيف يمكنني ذلك، بينما يبدو بوضوح أنك لا تستطيع القيام بذلك؟

أمسكت حقيبتها الصغيرة عن الكرسي، ودفعت جسمها دفعاً لكي تقف بعصبية وهي تقول: «حسناً، لا تفكر لحظة واحدة أنك ستنجو بفعلتك هذه! أنا لست أي امرأة برونو غيانيلا. ربما تكون قد نجحت في التخلص من عدد من النساء في الماضي، لكنك اخترت هذه المرة المرأة غير المناسبة!»

ضغطت كاتي جسمها على الجدار وهي تصغي لهذا الكلام الشرير برعب. مهما كان ما قاله برونو، فهي أيضاً مسؤولة عما جرى.

بدا الاهتمام على برونو بشدة وهو يقول: «حقاً! وماذا تريدين أن تفعلي؟»

تحوّلت إيزابيل فجأة إلى التزام الصمت وقد بدا غضبها متزايداً.

- هل ستستخدمين قاتلاً مأجوراً ليقتلني، وبذلك تنقذين بقية النساء من تصرفاتي المشينة؟ أم تتسللين إلى شقتي وتمزقين أكمام قمصاني؟

ثم أخفض عينيه الجميلتين للحظات قليلة قبل أن يتابع: «أم ستنشرين أخبار تصرفاتي الغادرة في الصحف؟»

شهقت كاتي وهي تحاول تخيّل تلك الاحتمالات كلّها. وانتبهت من أحلام اليقظة لتسمع إيزابيل تسير نحوها لتقترب من الباب وهي تبتسم ابتسامة شريرة وتقول بصوت خبيث: «سوف نرى!»

ثم توقفت لتنظر إليه وهي على بعد خطوة من كاتي: «لكنك ستكون غبياً إذا ما استخفيت بامرأة جرحتها بسخريتك، أما أنت..»

ونظرت إلى كاتي باستخفاف قبل أن تتابع قائلة: «.. أتمنى لك الحظ الجيد، لكن لا تأملي منه أكثر من علاقة عابرة».

وجدت كاتي نفسها ترتجف بينما كانت إيزابيل تغادر الغرفة. والآن.. وبعد أن أصبحت هي وبرونو بمفردهما في الغرفة، أدركت أنها ما تزال ترتدي ثوب السباحة تحت ردائها. راحت تحدق ببرونو بصمت، وأخيراً همست: «أنا آسفة حقاً».

- أحقاً! هذا أمر مثير.. ولماذا؟

- لأن..

- كما قلت لك، لا علاقة لك مطلقاً بانفصالنا، لذا لا داعي مطلقاً لأن تشعري بالذنب.

ثم ابتعد عن النافذة وجلس على أحد المقاعد: «أين جوزيف؟»

- في المستنبت. لقد كنت قاسياً جداً معها، برونو.

نظر إليها برونو غير مصدق: «أنا؟ قاس؟ عمَّ تتكلمين بحق السماء؟ ثم.. لِمَ لا تجلسين قبل أن تسقطي أرضاً؟»

جلست كاتي على أقرب كرسي، وانحنت إلى الأمام وقد علا وجهها القلق: «وماذا إن حاولت أو فعلت.. حسناً.. أي شيء، كما يقال...؟»

- عمَّ نتحدث الآن، عن تهديداتها أم عن قسوتي عليها؟

- حسناً، عن الإثنين معاً. في الواقع، أفكر أنك كنت قاسياً جداً معها.

تجهّم وجهها وهي تنظر إليه وعضت على شفتها قائلة: «وقفت هناك وتركتها تهذي وتعصف، حتى إنك لم تحاول تهدئتها.. لا بد أن ذلك مؤلم لها.. حسناً، كما تعلم..»

- لو أنك أتيت في وقت أبكر من هذا، لسمعت محاولاتي لتهدئتها. لم تكن إيزابيل مستعدة لتهدأ. كما أنها لم تبدِ استعداداً لسماعي وأنا أشرح لها أسباب انفصالنا. لم تشأ أن تسمع أنها قد تكون هي المسؤولة في نقطة ما. إنها تبحث عن كبش فداء فقط. وفي الواقع، عدت إلى رشدي وأدركت أننا نحن الإثنين غير متناسبين بما يكفي لإمضاء العمر معاً، حتى لو كنا نبدو وكذلك ظاهرياً.

- إذن، أنت كنت مخطئاً.

- لكنني كبير بما يكفي لأعترف بذلك.

سألته باستغراب كبير: «كيف يمكنك أن تكون بارداً هكذا؟»

- ما قمت به هو خدمة قيمة لكلينا.

وهز كتفيه قبل أن يبعد نظراته عنها قائلاً: «ما تحتاجه إيزابيل هو رجل واسع العلاقات تابع لها، لكنه يملك الكثير من المال، بالإضافة إلى رغبة كبيرة بإسعادها. ربما كنت سأقودها إلى الجنون على المدى الطويل. لقد نجح الأمر بيننا لفترة، لكن عندما أفكر بالأمر، أجد أنه نجح لأننا لم نقضِ فترة طويلة معاً. في الواقع، لم أمضِ وقتاً طويلاً برفقتها بسبب متطلبات العمل».

- ألا تشعر بالقليل من التوتر بسبب تهديداتها؟

مدّ برونو رجليه بارتياح أمامه وأجاب قائلاً: «إنها لا تملك مفتاحاً

لشقتي، وبذلك لن تتمكن من الدخول إليها لتمزيق ثيابي، وأنا أشك بأن تكون إيزابيل حقودة ومحبة للانتقام إلى حد يجعلها تستخدم قاتلاً مأجوراً ليقتلني أو يفجر سيارتي».

بدا كأنه يجد الأمر مسلياً للغاية.

- وماذا بشأن التحدث عنك في الصحف؟

وقبل أن تتوقف كاتي عن الشعور بالذنب بسبب ما حصل، أدركت أن عليها أن توضح كل تلك المسائل. فهي لا ترغب بأن يصاب برونو أذى بسببها، مع أنها تعلم أنه يملك قدرة كافية كي يحمي نفسه من أي كان، ومع ذلك..

- حسناً، إنني شخص معروف في الحياة العامة، على ما أعتقد..

وأسند رأسه إلى ظهر المقعد ثم أغمض عينيه وهو يتابع قائلاً: «.. إنني متحفظ جداً، لكن لا داعي للقلق. أظن أن إيزابيل كانت تتحدث بتوتر بسبب صعوبة اللحظة، لكن ما إن تصل إلى لندن حتى تهدأ مشاعرها. وما إن يمر الأسبوع المقبل حتى تبدأ بإحصاء منافع انفصالنا، وسوف تعلن للجميع أنها أحسنت صنعاً بالتخلص مني..»

* * *

لم يخفِ جوزيف ارتياحه لأن ابنه بالعمادة أحسن صنعاً بالتخلص من تلك الشقراء المتأنقة. ومع أنه كان يعبر لكاتي بصراحة عن رفضه لتلك العلاقة، إلا أنه كان أكثر تحفظاً وحذراً مع برونو حين كان الثلاثة يجلسون لتناول العشاء. كل ما قاله هو إنه لم يرَ أنها النوع المناسب لابنه. أما كاتي فقد حرصت على عدم التورط في ذلك النقاش، فهي لا تستطيع المشاركة بالحديث ما دامت لا تعرف الكثير عن رجال مثل برونو. كما أن أحداً لم يأتِ على ذكر ذلك العناق بينهما قرب بركة السباحة. فبعد أن خرجت إيزابيل من الغرفة كالعاصفة الهوجاء، توقعت كاتي أن يقول برونو شيئاً عما حصل بينهما. إلا

أنه لم ينبس ببنت شفة عن الموضوع. وأنبأها صمته هذا بالكثير ما جعلها تتجنب ذكره هي أيضاً. اسندت ذقنها بيديها وتركت خيالها يسرح في ذلك العناق. مع أن عقلها انبأها أن من المؤسف حقاً أن تفكر بذلك، لكن قلبها كان يعيش حلماً سعيداً. ثم أدركت أن جوزيف وبرونو غارقان في الصمت، فاحمر وجهها خجلاً ووقفت لترفع الأطباق عن المائدة.

قال لها برونو بنبرة صوت آمرة: «دعيها، ولنذهب إلى غرفة الجلوس لنشرب بعض العصير».

فقالت كاتي: «اذهبا أنتما. وبالطبع، جوزيف عليك أن تكتفي بشرب عصير الفواكه ولا تشرب مشروباً غازياً».

غمغم جوزيف «حسناً، مع أنني لست واثقاً من أنه جيد للجهاز الهضمي».

سارت كاتي نحوه تدفعها عاطفة قوية ثم قبلت رأسه وقالت: «لم أكن أعلم أنك تحمل شهادة في الطب».

أمسك جوزيف بيدها وضغط عليها قليلاً، ثم قال بلطف: «إنها فاتنة، أليس كذلك؟»

ثم تابع يقول: «سأشرب القليل من العصير فقط، هذا إذا لم تصعدي إلى غرفتك بدون أن تقولي عمتما مساءً!»

بدت كاتي سعيدة بالعودة إلى المطبخ والابتعاد عن برونو، وتعمدت أن تأخذ المزيد من الوقت لتعيد ترتيب الطاولة وتغسل الصحون ثم تعيد كل شيء إلى مكانه.

في الوقت الذي أصبحت جاهزة فيه للعودة إلى غرفة الجلوس، كانت قد اقنعت نفسها بأمرين هامين. الأول هو أن برونو ليس منجذباً إليها، بل بالكاد يشعر ببعض الفضول نحوها، والأمر الثاني هو أن ما شعرت به نحوه هو مجرد انجذاب فقط، إلا أنها بالغت في التأثر لأنها لم تمر بتجربة مماثلة من

قبل. لقد شعرت بذلك من دون سبب حقيقي ولا داعي كي تتصرف بطريقة غريبة، فهي تستطيع السيطرة على انجذابها هذا.

حملت خطواتها تصميماً واضحاً عندما توجهت أخيراً إلى غرفة الجلوس، وذلك بعد مرور ساعتين، لتجد برونو هناك بمفرده. ولم يكن هناك أي أثر لجوزيف.

- لقد بدا متعباً وأخذته إلى سريره بنفسي.

لم يزعج نفسه بإنارة الضوء في الغرفة، لذا بدت الغرفة سابحة في الظلال من خلال الأنوار الخافتة المنبعثة من مصباحين موضوعين على طاولتين في زاويتي الغرفة.

- كان عليك أن تناديني.

- أعتقد أنني قادر على مساعدة عرابي ليتمكن من الراحة، كاتي. كما أنك كنت تتفانين في تنظيف المنزل.

- لم أكن متفانية أبداً.

بدا برونو حزيناً وقد تمدّد على الأريكة طالباً الاسترخاء التام. وأدركت كاتي أنه يفتقد إيزابيل أكثر بكثير مما قد يعترف به، وربما كان الآن في مزاج سيء، ويرغب بأن يتشاجر معها. بدا لها أنه كان يمرر أصابعه من دون توقف من خلال شعره، ما أعطاه هيئة صبيانية. شعرت برغبة بأن تصفف له شعره وتقول له كلاماً يمسح هذا الحزن عن وجهه.

من جهة أخرى، أرادات أن تهرب من ذلك الإحساس الكبير الذي ينمو في داخلها فكانت النتيجة أنها تسمرت في مكانها، فلم تتحرك إلى الأمام كما أنها لم تحاول المغادرة. سادت بينهما حالة من التوتر، فيما استمر برونو في النظر إليها من خلال عينيه شبه المغمضتين. ثم قال موافقاً: «حسناً، لم تكوني متفانية. ربما كنت فقط تتجنبين رؤيتي همم؟ نعم، كنت تفعلين ذلك. أعتقد أنني بحاجة إلى تفسير منك».

وضع يده على الطاولة ثم أمسك بكوب العصير وقال: «لكن لماذا ترغبين في تجنب رؤيتي؟ إنه لغز ألا توافقيني الرأي؟ إلا إذا كان السبب..»

وابتسم لها تلك الابتسامة الماكرة التي تكاد توقف نبضات قلبها، ثم تابع كلامه ببطء: «.. ذلك العناق.. هل هذا هو السبب، كاتي؟»

تمنت كاتي لو أنها تصاب بالإغماء في تلك اللحظة بالذات. فالآن، أدركت بالتحديد ما كانت تشعر به السيدات في العصور القديمة؛ دقات قلب سريعة، جسد ضعيف... وقلق بالغ..

- تعالي واجلسي بقربي، ولنتحدث بالأمر.

قالت كاذبة: «لم أفكر بهذا الأمر لحظة واحدة، ثم توقف عن محاولة الشجار».

رفع ذراعيه ووضعهما خلف رأسه إلا أنه استمر في مراقبتها. سارت كاتي بخطى متثاقلة نحوه. وكلما اقتربت أكثر كلما شعرت بقوة أكبر تدفعها إلى السير قدماً، إلى إن باتت تقف أمامه مباشرة. تحرك برونو قليلاً إلى الجهة اليمنى مفسحاً لها مكاناً كي تجلس إلى جانبه. ثم ربت بيده على الأريكة قائلاً: «إجلسي هنا، في هذا المكان الدافئ».

جلست كاتي وبدأت تقول: «إنني حقاً آسفة بشأن إيزابيل».

شعرت بقلبها يذوب حزناً وألماً عليه.

- لماذا؟ فأنت لا تحبينها!

- أنا لم أقل إنني لا أحبها. إنها فقط، مختلفة جداً عني. مخيفة قليلاً في الواقع. لا سيّما وأنها فارعة الطول.

فكاتي كانت تشعر أنها قصيرة جداً إلى جانبها.

- حسناً، طالما أنها بدت لك مخيفة، لماذا تشعرين بالأسى عليها؟ هل نسيت أنها حاولت تهديدي؟ على أي حال، كما قلت لك، لدي أساليب خاصة للهرب.. يجب أن تشعري بالراحة عندما تفكرين بذلك.

- حسناً، نعم. أعتقد..

نظرت كاتي إليه وتعجبت بشدة من طول رموشه، وتابعت تقول: «مع أنه.. أمر محزن حقاً، أعني انتهاء العلاقات العاطفية، أليس كذلك؟»

ثم أكملت معترفة بما تفكر عنه حقاً: «من المحتمل أنك لا تشعر بذات الطريقة التي يشعر بها معظم الناس العاديين، طالما أنك مررت بمئات العلاقات التي انتهت كلها».

لم يعجبه ما قالته ومع ذلك قال لها: «أشكرك على ذلك. من الأشياء التي أراها ساحرة فيك، قدرتك على قول الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة. من المؤكد أن رجلاً لديه مئات العلاقات يحسب نفسه شخصاً ناجحاً جداً، أليس كذلك؟»

- آسفة.

- أحقاً؟ هل أنت حقاً آسفة؟

وراحت عيناه السوداوان الضيقتان تتفحصان وجهها باهتمام وبطء شديدين. فأومأت كاتي برأسها يائسة. لم يكن يحاول اختيار كلماته إلا أنه جعلها تشعر بأن كرامته قد أهينت. هزّت رأسها ثانية، وهذه المرة حاولت أن تبدو أكثر اقناعاً، ثم راقبته وهو يبتسم لها ابتسامة كسولة قائلاً: «علام أنت آسفة؟»

- آسفة بشأن ما حصل، وآسفة عمّا قلته لك. حسناً، بعيداً عما جرى..

ولاحظت أنه ينظر إليها بطريقة غريبة، ذلك اللمعان الخاص في عينيه، وتلك الابتسامة الساحرة.. وإذا ببرونو يضحك بنعومة ويقول: «لقد سامحتك».

ثم مد ذراعه ووضعها خلف كتفيها، وإذا بأحاسيسها تستيقظ مجدداً إثر لمسته وكأنها كانت تنتظر ذلك منه، بل كأنها تتوق إلى لمسة من يده لتدب الحياة

في جسدها بأكمله.

وسمعت نفسها تقول متلعثمة: «عليّ أن أذهب».

عندئذٍ اقترب منها برونو أكثر وهمس في أذنها: «تذهبين؟ ليس هذا ما كنت أفكر به.. آه، لا. ما رأيك بأن نكمل من حيث قاطعتنا إيزابيل..؟».

- نكمل من حيث قوطعنا!

راح قلب كاتي يخفق بعنف وهي تحاول استيعاب ما يقوله برونو.

قال بنبرة ساخرة: «ليس عليك أن تستمري بارتداء هذه الثياب الفضفاضة. فات الأوان لإخفاء نفسك هكذا».

- أنا، لا...

- توقفي عن الكلام ويادليني العناق.

قال برونو ذلك وهو يبتسم ابتسامة عريضة وما لبثت كاتي أن شعرت بنفسها تبتسم أيضاً. كان برونو يراقبها بذهول، وهو يتساءل كيف أنه لم يلاحظ من قبل تقاسيم وجهها الرائعة ورقة معانيها وامتلاء شفتيها. قرّبها منه أكثر ليعانقها، وكم شعر بالارتياح وهو يراها تتجاوب معه في عناق لطيف. وما هي إلا لحظات حتى أبعدت كاتي نفسها عنه لتقول بصوت خافت: «اسمع، يجب ألا تقوم بذلك، إنك تشعر.. تشعر بالحزن، ولا أظن..»

- من قال لك إن هذا هو السبب؟

- أعني، لست الآن في أفضل حالاتك، بسبب ما حصل، لذا من الأفضل أن نكف عن ذلك.

كاد برونو ينفجر ضاحكاً إلا أنه منع نفسه وقال بنبرة خطيرة: «كاتي، أنا شخص راشد. ولم أكن لأعانقك لو لم أكن أشعر برغبة قوية بذلك».

- أحقاً؟

- نعم، ألا زلت تشعرين بالأسى عليّ؟

- كلا!

- حسناً، هذا أفضل. فأنا لا أحب أن تعانقني امرأة لأنها فقط تشعر بالأسى علي.

أرسلت كلماته موجة من الحرارة في كيانها، مرسلة إحساساً محذراً إلى كافة أنحاء جسمها!

كان المنزل غارقاً في الصمت، فجوزيف قد خلد إلى النوم ولم يبق سواهما مستيقظين يتسامران معاً. وعندما حاول أن يعانقها مرة أخرى، عادت تقول بصوت مرتجف: «هناك أمر أود أن أخبرك به».

شعرت أنها لا تستطيع مقاومة جاذبيته، فدفاعاتها كلها قد انهارت أمام سحره الذي لا يقاوم. ومع ذلك عليها أن تضع الأمور في نصابها. وسألها: «وما هو؟»

نظرت إليه بصمت للحظات ثم قالت: «أعتقد أنك تفكر.. حسناً.. أعرف نوع الحياة التي تعيشها..»

- آه، لا! لن تبدأي الآن بتلك الأحاديث التي لا تنتهي، أليس كذلك؟

- ماذا تعني؟

حاول برونو ألا يشعر بالغضب وقال: «أعني يجب أن تتوقفي عن الالتفاف حول الموضوع، وأن تصلي مباشرة إلى ما تريدين قوله»

- ما أريد قوله..

في تلك اللحظة، تمنت كاتي لو أن الأرض تنشق وتبتلعها لشدة الإحراج الذي شعرت به. عضت على شفتها بتوتر وحاولت أن تنظر مباشرة إلى وجهه وهي تتابع قائلة: «ما أقوله هو إني لا أشبه مطلقاً أولئك النساء...»

ابتعد قليلاً عنها قبل أن يسألها: «أي نساء؟»

- النساء اللواتي كنت تعرفهن في الماضي!

ثم تنهدت قبل أن تتابع: «نساء مثل إيزابيل؛ أنيقات، مترفات. أنا لست

مثلهن برونو. أعلم أنك قد تجد كلامي سخيفاً، لكنني لست مثلهن مطلقاً»

شعر برونو بموجة من الإحباط تجتاحه. تجمد في مكانه وكأنه تلقى دفقة من الماء البارد. إنه يعلم ماذا سيحصل... ما إن تدرك كاتي ذلك الانجذاب بينهما حتى تجد مائة عذر وعذر كي تركض هاربة من الغرفة. وفكر أنه لم يتوسل في حياته لامرأة وهو لن يبدأ الآن. زمّ شفتيه بتصلب وطوى ذراعيه فوق صدره المليء بالعضلات. وسألها: «وهل تظنين أن أولئك النساء أفضل منك؟»

وفكرت كاتي باشمئزاز: «كلا بالطبع».

- إذن، ما مشكلتك كاتي؟

- أنا لا.. لا أحبذ العلاقات العابرة.

نظر برونو إليها نظرة متأملة، وفكرت كاتي أن هذه قد تكون المرة الأخيرة التي ترى فيها برونو غيانيلا على هذه الصورة من الهدوء المخيف. من يمكنه أن يلومه فالنساء اللواتي عرفهن كن من نوع إيزابيل وهن يلقين بأنفسهن عليه كل يوم. أما هي.. ما خطبها؟ إنها لم تشعر بهذا الانجذاب أو الرغبة تجاه أي رجل قبل اليوم كما تشعر بالنسبة لبرونو الذي يجلس إلى جانبها ملتزماً الصمت. وقالت: «إنه أمر سخيف، أليس كذلك؟»

قالت ذلك فقط كي تكسر الصمت الثقيل الذي يلفهما. بالطبع إنها تعلم لما لم ينطق بأي كلمة. رجل مثله اعتاد السيطرة على من حوله وبصورة خاصة على النساء اللواتي يتهافتن لنيل رضاه، لن يشعر بالحماسة في التودد لامرأة تضع بنفسها قواعد اللعبة.

- لست واثقاً أن كلمة «سخيف» هي الكلمة المناسبة. إنها بالأحرى مسألة مبدأ، ربما.

لم يكن يبعد عنها سوى بضعة سنتيمترات، وعطره الرجولي يملأ خياشيمها. أخفضت بصرها وقالت بتردد: «حسناً.. رجل مثلك..»

وضع برونو إصبعاً تحت ذقنها ورفعها بلطف كي تلتقي نظراتها بنظراته. لا يمكنه أن يخبرها حقاً ما الذي فعلته به لتوها. الآن بالتحديد، شعر كأنه رجل ربح الجائزة الكبرى لليانصيب. قال بهدوء: «كاتي، أنت تفترضين أموراً كثيرة. ليس عليك أن تشعري بالخوف، لن أدفعك للقيام بما لا ترغبين به».

ولكن ما الذي ترغب به حقاً؟ إنها ترغب بأن يعانقها إلى أن تغيب عن كل ما حولها. ركزت نظراتها على عينيه السوداوين الرائعتين وراحت تتأمل رموشه الطويلة وكأنها لا تستطيع تحويل نظرها أو الابتعاد عنه. ويبدو أن برونو أدرك لهفتها التي لا تقل عن لهفته إذ سرعان ما طوقها بذراعيه ليغرقها في عناق طويل.

لم تعرف كاتي كم مضى عليهما من الوقت وهما متعانقان. عندما ابتعد عنها برونو كانت تشعر بالخدر وكأنها كانت في عالم آخر بعيداً عن هذا العالم. وسألها: «كاتي، لماذا تخشين العلاقات العاطفية؟ ألم تكن لديك علاقات عاطفية من قبل؟»

يمكنها أن ترى إلى أين سيقود هذا الحديث، وهذا تماماً ما تخشاه. وسوف يستنتج بسرعة أنها تشعر نحوه بعاطفة خاصة بعد أن يجرها إلى الاعتراف بذلك. ليتها تستطيع أن تدعي الغضب وتخرج من الغرفة كالعاصفة! قالت بصدق: «كان لدي صديقان؛ نيل كان طالباً جامعياً، وقد اخفقت علاقتنا لأننا لم نكن نرى بعضنا إلا عندما يعود من الجامعة».

- لا بد أنكما كنتما تفتقدان بعضكما البعض.

- كنا نمضي الوقت بالتحدث.

وتذكرت كاتي، أحاديث وأحاديث.. كل تلك الأحاديث عن أخباره، عن حياة الجامعة المثيرة، وعن الأماكن التي يقصدها هناك، والناس المميزين الذين يلتقي بهم.. لقد توقفت عن كونها صديقته لتصبح حاملة أسراره. وتابعت تقول: «على أي حال، انتهت تلك العلاقة وبعدئذٍ التقيت بيول

عندما أتيت إلى لندن».

- ورحتما تتبادلان الأحاديث أيضاً.

لسبب ما بدا له وقع كلامه كالموسيقى، ربما لأنه بات متأكداً أنه لم يكن في حياة كاتي أي علاقة حقيقية مع رجل.

- لم يكن بول راضياً عن أوقات عملي، وأنا لم أكن مستعدة للتضحية بعملي من أجله. إسمع.. أنا لا أقول إن هذا الأمر خاطىء، لكن..

- يبدو أنك انتقلت إلى موضوع مختلف تماماً.

تحركت كاتي بقلق بعيداً عنه واضعة مسافة بينهما وما لبثت أن وقفت لكي تتمكن من مغادرة الغرفة في أسرع وقت مكن. ثم قالت: «أريدك أن تعرف برونو، أن هذا الأمر.. أعني هذا العناق، لن يتكرر».

- ماذا تعنين بذلك؟

- كوني أشعر بالانجذاب نحوك لا يعني أنني سأكون لعبة سهلة بين يديك..

- آه، كاتي. لا تظني أنني ألاحق النساء من أجل التسلية فقط.

لكن أليس هذا ما كان يفعله في الماضي؟ إنه لم يفكر بالارتباط بامرأة واحدة، ألم يكن يتمتع بالعلاقة مع المرأة لفترة قصيرة ثم يبتعد عنها ليتحول إلى امرأة أخرى؟

- بالطبع أنت تفعل ذلك.

أدركت من ملامح وجهه أنها أصابت الهدف، فتابعت تقول: «لا داعي لإنكار ذلك، برونو، مغامراتك العاطفية تحتل أعمدة الصحف. أنت لا ترغب بالارتباط بامرأة، بل تريد التسلية فقط، وهذا أمر جيد، لكن ليس بالنسبة لي».

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها فيما هي تتكلم، لكنها تعلم أن عليها أن تقول ما تفكر به لأنها إن تركت الأمر بدون توضيح سيعتقد أن باستطاعته

ملاحقتها كلما ناسبه ذلك.

- وما هو الجيد بالنسبة إليك؟

شعر برونو أنها تبتعد عنه بوضع سلسلة من التعقيدات التي لا تعجبه.

وقف أمام الباب ليمنعها من المغادرة. فقالت تحذره بنبرة ملؤها الاعتراض: «أنت تقف أمام الباب، وأنا أريد الرحيل».

قال محاولاً إقناعها بالبقاء: «من السخافة أن تبدأي بالهرب الآن، نحن منسجمان معاً ولا أرى أين الخطأ في ذلك».

- لا أريد أن أصبح لعبة بين يديك عندما تكون هنا برونو. شيء ترميه جانباً عندما تعود إلى لندن حيث تلاحق لعباً أكبر وأجمل وأكثر شهرة لتمضي وقتك معهن.

- من الذي قال شيئاً عن رمي الآخر جانباً؟

صرخت كاتي بانفعال: «لا داعي لتذكر ذلك، تاريخك يتحدث عن نفسه».

ثم تنهدت وراحت تنظر إلى قدميها وهي تجاهد نفسها كي لا تنفجر بالبكاء. أخيراً نظرت إليه وقالت بصوت هادىء ومسيطر: «لا يمكنك أن تقف هناك إلى الأبد، حان الوقت كي أعود إلى غرفتي وليس هناك ما نستطيع قوله أكثر».

قال وهو يشعر بالضيق: «أنت تعيشين في زمن آخر؛ الحب والزواج.. وانتظار الرجل المناسب.. أمور لا تحدث دائماً، كاتي».

هزت كتفيها كعادتها دائماً. وأراد برونو أن يخبرها بصوت مرتفع كم يكره تهربها من الحديث بقيامها بإحدى تلك الحركات المراوغة.

- أنا لا أعترض على أسلوب الحياة الذي تختاره لنفسك برونو. يمكنك أن تتعرف على كل نساء الأرض، لكنني لن أصبح واحدة منهن!

هل قالت له للتو إنها لا تهتم لأمره؟ إذا كان يفهم النساء حقاً عليه أن يرى

أنها تهتم لأمره. آه، بل تهتم كثيراً!

ابتعد برونو ببطء عن الباب، واتكأ على الجدار وهو يضم ذراعيه فوق صدره. وعندما أصبحت كاتي قربه تماماً، قال بصوت مخنوق: «نحن نعيش ونموت بسبب الخيارات التي نتخذها. تذكري ذلك، كاتي».

امتلأ رأس كاتي بالخيالات.. بأنها أصبحت عجوزاً وهي تبحث عن الرجل المناسب. ابتلعت غصة، وهمست بصوت يائس: «هل تريدني أن أعمل معك غداً؟»

تجهم وجه برونو وشعر بالضيق، ثم مرّر أصابعه في شعره وتمتم بحزن: «ربما، في فترة بعد الظهر، إذ سأخرج في الصباح».

وفكرت كاتي: إلى أين تراه سيخرج؟

- إذا قلت لي في أي وقت...

انفجر في وجهها قائلاً: «لا أعرف في أي وقت!»

ثم سار بخطى واسعة إلى كرسي قرب النافذة فارتمى عليها مع أن مزاجه بعيد جداً عن الارتياح. كل عصب في جسمه كان يشعر بالاحباط والغضب الحاد. ووجدت كاتي من الصعب عليها أن تصدق أن تينك العينين السوداوين الضيقتين كانتا منذ فترة قصيرة تفيضان بالرقة وهما تنظران إليها.

غادرت الغرفة وهي تشعر باليأس، فهي قد ربحت المعركة لكنها خسرت الحرب. وكان الأمر أسوأ في صباح اليوم التالي، لأنها لم تجد أي أثر لبرونو في الجوار. وعندما ذكرت أمر غيابه عند الساعة الرابعة بعد الظهر قال جوزيف: «لديه أعمال في لندن. لماذا تسألين؟»

- آه، ما من سبب محدد.

- كان من المفترض أن يعود عند الغداء، لكنه اتصل بي منذ قليل ليقول لي إنه سيتأخر. أتوقع أن يكون لديه اجتماعات هامة.

- هذا ما أتوقعه أيضاً. لقد أمضى هنا فترة طويلة، ومن المحتمل أنه يريد

العودة إلى قلب الحياة في لندن.

وفكرت بحزن.. كالقيام باتصالات جديدة، والتعرف على نساء جديدات.. بعد ذلك الانفجار الكئيب الذي يبدو كإشارة انطلاق.

وافقها جوزيف قائلاً: «هذا محتمل. أعتقد أنك ستفتقدينه عندما يرحل نهائياً، أليس كذلك؟»

- آه، لا! يمكننا أنا وأنت أن نعود إلى حياتنا السابقة، فنعود إلى العمل في تلك المذكرات. نحن لم نزر المكتب معاً منذ أجيال. ربما يمكننا البدء في نهاية الأسبوع.

مع أنها كانت تخشى العودة إلى حياتها السابقة التي كانت تستمتع بها راضية، فقد دخل برونو إلى حياتها كالإعصار، فشتت السلام في فكرها، وهي لا تعتقد أن بإمكانها أن تستعيده يوماً. إذا كان ما تشعر به نحو برونو هو مجرد إعجاب، فلِمَ إذن تشعر بهذا الألم الكبير في داخلها؟ لكنها تدرك أن الأمر لا يقتصر على مجرد الإعجاب بالنسبة إليها. إنه يتعلق بالحب والحاجة العاطفية وكل كلمة أخرى يمكن أن تعبر عن الرغبة الملحة بالآخر. لقد ارتكبت الخطأ المميت بالوقوع في حب برونو، وهذا ما تستحقه جزاء لذلك. فبدلاً من أن تتعرف على شعورها منذ البداية لتأخذ الاحتياطات اللازمة، رمت بنفسها من فوق منحدر شاهق بفرح كبير.

سمعت نفسها تتحدث وتثرثر دون انقطاع وهما ينظران إلى نباتات البندورة والعنب ويصلان أخيراً إلى البستان. عندما عادا معاً إلى المنزل كانت قد تحدثت عن كل موضوع يمكن أن يخطر في البال، بينما راح جوزيف يجيب باقتضاب وبعدة كلمات فقط. ووجدت نفسها تعود إلى الموضوع الأساسي الذي تحدثا فيه باختصار. ذكّرته بحزن أن قضاء برونو ليومه الطويل في لندن هو بمثابة إعلان مسبق عن قرب مغادرته نهائياً. وقالت تشرح له: «من المحتمل أنه يفتقد إلى الحيوية والحماسة التي تميز العمل في مدينة كبيرة مليئة بالحياة».

تخيلته وهو يقوم باتصالات مع عدد من النساء اللواتي يشبهن إيزابيل. وتابعت تقول: «هذه الحياة الريفية قد تشعره بالاختناق. ليس هناك حماس في المكتب، ولا اتصالات هاتفية طيلة الوقت، أو اتصالات من أشخاص ذوي أهمية، طالبين نصائح اقتصادية أو أشياء من هذا القبيل..»

وتابعت في سرها: ولا نوادي ولا حياة صاخبة أو مطاعم فاخرة مليئة بالأشخاص المشهورين والنساء المميزات بالجمال واللواتي، ربما، يأتين في أعلى قائمة أولوياته...

قال جوزيف ببساطة: «لكن يبدو أن برونو أحب الحياة هنا».

كلامه هذا جعل كاتي تضحك ضحكة مجنونة، أما هو فتابع قائلاً: «حياة الريف لها سحرها الخاص. ليس هناك ما يمكن مقارنته بالهدوء والسلام الداخليين اللذين يحصل عليهما المرء في أحضان الطبيعة».

قالت كاتي لنفسها، إنها من أجل ذلك تجد نفسها مولعة بجوزيف، لكن كيف يمكنها أن تخدعه ولا تخبره بالحقيقة، وهي أن ليس هناك سبب مقنع يجعل ابنه يبقى هنا ما دام هدفه أصبح واضحاً وجلياً؟ فصحة جوزيف تتحسن يوماً بعد يوم. أما الهدوء والسلام الداخلي فهي كلمات لا قيمة لها في قاموس برونو.

أمضت ما تبقى من النهار وهي لا تعرف كيف يمكن للحياة أن تتغير على هذا النحو في غضون ساعات قليلة.

٧ - إشاعة أم حقيقة؟

سيأتي دايف هارنغتون، صديق جوزيف، لاصطحابه عند الساعة الثامنة صباحاً. وقد وضع خطة تمكنهما من قضاء فترة بعد الظهر معاً. فهو سوف يصطحب جوزيف إلى المستشفى لإجراء معاينة روتينية، ثم يقومان بعدة جولات في لعبة البريدج في النادي الذي يقع في ضاحية البلدة.

- يمكنك البقاء نائمة، عزيزتي.

تلك كانت الكلمات الأخيرة التي قالها لها جوزيف قبل أن يرتاح في سريره مساء أمس ثم تابع: «أنت تستحقين ذلك، بعد كل ذلك العمل القاسي الذي كان يرهقك به برونو».

اعترضت كاتي قليلاً لكنها شعرت بالسعادة وهي تقبل عرضه. فهي تشعر حقاً بالإرهاق، وهذا لا علاقة له مطلقاً بالعمل. إنها مغرمة ببرونو وهي لا تعلم ما عليها أن تفعل بهذا الشأن. هل عليها أن ترحل من هذا المنزل؟ أن تتخلى عن عملها؟ إن بقيت هنا، فأي لقاء معه سيعيد إلى داخلها كل المشاعر والأشواق التي تكنها له، ثم سيغادر بعدئذٍ ليتركها تعالج جراحها وحيدة، إلى أن يعاودها الألم مرة أخرى حين يعود في المرة التالية.

لكن عندما فكرت بالمغادرة، تخيّلت كم ستكون حياتها حزينة من دونه، كم ستفتقده وتشتاق إليه! وبدا لها أن هذا الخيار سيء أيضاً. تجاوزت الساعة منتصف الليل قبل أن تتمكن من النوم في تلك الليلة. وكان نومها قلقاً مليئاً بالأحلام المزعجة. استغرقت عدة دقائق كي تدرك أن هناك طرقاً على باب غرفتها، وأن ما تسمعه تكملة لحلم قلق لا نهاية له.

إنه جوزيف! وقد بدا لها مشرق الوجه مسروراً لرؤيتها، سألته كاتي وهي ترمش بعينيها: «كم الساعة؟»

- إنها الثامنة!

- هل هناك مشكلة ما مع دايف؟

بدأ عقلها يعمل بطريقة ما ولاحظت أن جوزيف قد ارتدى ثيابه وبدا بكامل أناقته وتابعت تقول: «هل تريدني أن أوصلك؟ سأبدل ملابسي فقط. آسفة أنا عادة أستيقظ باكراً. أعطني فقط بضع دقائق».

- أيتها العفريتة الصغيرة!

- ما..؟

- بالطبع، أنا علمت بذلك.. أحسست به. قد أكون عجوزاً لكنني لست غبياً!

بدا جوزيف مبتهجاً إلى حد كبير، ما جعلها تشعر بإنذار قوي في جهازها العصبي.. عمَّ يتحدث بحق السماء؟ وسألها: «هل تمانعين إن دخلت، كاتي؟ لن أتأخر. سيصل دايف في أي دقيقة، هذا إذا لم يستغرق في النوم صباحاً. تعلمين ما يصيب هؤلاء العجائز».

وراح يضحك مازحاً، ثم دخل إلى غرفتها حتى وصل إلى كرسي مريح. وقال: «كل ذلك الحديث عن مغادرة برونو، لم يكن سوى مقدمات. كان عليك أن تتحدثي معي بصراحة! لا.. أعتقد أنك خشيت أن أتلقى الخبر بشكل سيء.. لكن يا عزيزتي. لم يكن هناك من داع لذلك. لا أستطيع أن أعبر لك عن فرحتي! بالأمس، ظننت أنك تشعرين بالتوتر لسبب ما، ولست كعادتك. أحياناً أكون شديد الملاحظة، عليك أن تعترفي بذلك!»

قالت وهي تحاول أن تفهم ما يعنيه بكلامه: «أنت سعيد، وأنا سعيدة لسعادتك!»

وتساءلت، ما سبب هذه السعادة الغامرة يا ترى؟

- بالطبع، سأفتقدك كثيراً. همم.. يجب أن تتركي هذا المنزل القديم.. لا أستطيع التخيل أنني سأحضر بديلة عنك، عزيزتي، فلن تكون مثلك أبداً.

- بديلة!

في هذه اللحظة شعرت كأنها وضعت على السكة الكهربائية وهي لا تعرف إلى أين تتجه. فقالت: «لم أكن أفكر بالمغادرة جوزيف».

حسناً، لقد فكرت بذلك في الواقع، لكن كيف تمكن جوزيف من قراءة أفكارها إلى هذه الدرجة؟

- من الطبيعي أن ذلك لن يحدث الآن.

التمعت عيناه من الفرح ونظر إلى ساعته قائلاً: «يا إلهي! أنظري كم الساعة؟ عليّ أن أذهب الآن عزيزتي، لكنني أردتك أن تعرفي أنك جعلت من رجل عجوز أسعد رجل في الواقع».

سألته كاتي وقد شعرت بجرح عميق: «لأنني أخطط للرحيل؟»

وقف جوزيف وأمسك بيديها الاثنتين بين يديه، وضغط عليهما قليلاً وهو يقول: «أنت متأثرة عاطفياً، أعلم ذلك. لكن ذلك هو العمل الصحيح. لدي إحساس قوي بأنك وبرونو تناسبان بعضكما البعض تماماً! وأنا سعيد جداً لأنكما قررتما أن تتزوجا!»

ثم خرج من الغرفة وهو يكاد يطير من الفرح، تاركاً كاتي تحدق في الباب مصدومة وكأن صاعقة ضربتها.

الزواج من برونو! من أين أتته هذه الفكرة، بحق السماء؟

استيقظت تماماً بعد هذه الصدمة، وارتدت ثيابها بسرعة. بالكاد توقفت كي تسرح شعرها. وبعد مرور عشر دقائق، كانت تنزل الدرج بسرعة، وتوجهت مباشرة إلى المطبخ. كان برونو يجلس قرب طاولة المطبخ وقد وضع أمامه عدداً كبيراً من الصحف، وفنجاناً من القهوة وكوباً من العصير.

توقفت كاتي عن السير فوراً ما إن رأته هناك، وغابت كل الأفكار من

رأسها لرؤيته. بدا غاية في الوسامة حتى إنها سمعت نفسها تشهق لرؤيته.

أشار إلى الإبريق الزجاجي المخصص لصنع القهوة والموضوع على بلاطة المجلى خلفها قائلاً: «أتريدين بعض القهوة؟ لقد أعددتها للتو».

- متى عدت؟

وتساءلت إن كان برونو قد اطّلع على بعض من أفكار عرّابه الغريبة أم لا. إن لم يكن ذلك قد حصل، ما عليها سوى الانتظار قرب الباب الأمامي حتى عودة جوزيف، لتوقفه وتنتحي به جانباً، فتخبره بلطف بالغ أنه قد توصل إلى هذه النتيجة الخاطئة من لا شيء.

شعرت أن بإمكانها أن تهدأ لأن برونو لا يبدو متزعجاً أو قلقاً.

- في الواقع، عدت في ساعة مبكرة من هذا الصباح.

- وأعتقد أنك.. لم ترَ عرابك قبل أن يغادر. أقصد.. لقد ذهب مع دايف هارنغتون.

ثم أدارت ظهرها وسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة، وهي تحبس أنفاسها بانتظار ردّه.

- آه، نعم. لقد رأيته وهو بأفضل حال.

ساد الصمت بينهما لبرهة، وأخيراً، عندما استدارت كاتي وجدت أن برونو ينظر إليها. ثم قال محدّثاً: «أعتقد أنه يجب عليك أن تلقي نظرة على هذه الصحف».

ومن دون أن يبعد نظره عنها، أدار إحدى الصحف حتى أصبحت مواجهة لها. سارت كاتي بحذر شديد نحو الطاولة. كان هناك عدد كبير من الصحف، بل أكثر مما اعتقدت.. كمية غير عادية في الواقع.

نظرت إلى الصفحة الأولى، وقرأت العنوان ثم وضعت فنجانها على الطاولة: «آه، لا! آه، لا!»

واختفى اللون من وجهها ما إن قرأت الفقرة الصغيرة، والتي كتبت

بطريقة أقرب إلى الثرثرة. محتوى الفقرة يتضمن خبراً مفاده أنه تمّ إعلان خطوبة امرأة تدعى كاتي وست على برونو غيانيلا، والذي وصف، ببساطة، بأنه أكثر الرجال العازبين وسامة في لندن. وفي المقالة كيل من المديح المخجل بالإضافة إلى عبارات من التعاطف مع كل النساء العازبات اللواتي خسرن الرجل المحظوظ والأكثر وسامة والأكثر ثراء وذكاء.

قالت كاتي بصوت كالصرير: «هذا اسمي!»

وجلست بتثاقل على الكرسي وأخذت تقلب صفحات الجرائد لتجد ذلك الإعلان في معظمها.

- وجوزيف..؟

- شعرت أن عليّ أن أخبره بالأمر لأوفر عليه معرفة ذلك من خلال أصدقائه.

- برونو، لا يمكن أن يحصل ذلك!

- البرهان هو أمام عينيك.

صرخت كاتي كأنها أصيبت بالهستيريا: «كيف يمكنك أن تبقى هادئاً هكذا؟»

- لقد تسنّى لي الوقت أكثر منك لأعتاد على الأمر.

ثم استدار ليواجهها بعد أن دفع بكرسيه لتصبح قرب الطاولة، وتابع يقول: «اتصلت بي إيزابيل مساء أمس لتقول لي إنني قد أهتم لقراءة صحف هذا الصباح. في ذلك الوقت، بالطبع، كان الأوان قد فات للقيام بأي عمل بهذا الشأن. وأول شيء فكرت به هو القدوم إلى هنا».

- والداي..!

غدت كاتي أكثر شحوباً مما هي عليه: «عليّ... عليّ أن أتصل بهما.. سأقول لهما إن ذلك ليس سوى مجرد مزحة كبيرة..»

نظرت إلى الهاتف وانكمشت على نفسها عندما فكرت بما سيحصل

بعدئذٍ. سيطلب والداها تفسيراً لما حدث، لا بد أنهما سيطرحان أسئلة محددة ودقيقة، لن تستطيع الإجابة عليها. وسوف يصران على القدوم إلى هنا ليتأكدا أنها بخير.

وسألته بنبرة محمومة: «ما الذي سنفعله؟ لقد قلت لي إنها لن...»

- يبدو أنها أكثر مكراً مما تخيّلت.

قالت له كاتي بصوت ملؤه الذعر: «عليك أن تتخلص من هذا المأزق. فكل ما نحن فيه الآن هو سبب غلطتك».

- لا أستطيع القول إن ما حصل هو غلطتي وحدي.

- يمكنك على الأقل أن تبدي اهتماماً أكبر.

ولم تعد تطيق الجلوس، شعرت بأنها تريد أن تتحرك وتتجول في المكان، فوقفت. لكنها شعرت أن ساقيها ستخذلانها فجلست على الفور: «يجب أن ترد بإعلان ما..»

ثم أخذت نفساً عميقاً وتابعت تقول: «اتصل بأصدقائك.. في الصحف. لا بد أن لديك العشرات من الأصدقاء الذين يعملون في الصحافة. قل لهم إنهم ارتكبوا خطأ بهذا الإعلان.. اشرح لهم ما حدث لك مع إيزابيل..»

وفكرت أن برونو يبدو هادئاً جداً، وشكرت الله على ذلك. لا بد أنه يشعر بالقلق مثلها، لكن بما أنه شخص يستطيع السيطرة على نفسه بقدرة عجيبة، فهو لا يظهر قلقه ببساطة. في الوقت الحالي، لا بد أنه يكرهها لأنها جلبت كل هذه الفوضى وألقت بها فوق رأسه. وإذا بها تهمس قائلة: «آسفة، برونو».

وامتلأت عيناها بالدموع. وبدون وعي منها أخذت المنديل الذي قدمه لها: «ما كان عليّ أن أضع اللوم عليك. لولا وجودي هنا، لما حصل شيء من ذلك..»

مسحت عينيها بقوة بالمنديل قبل أن تعود فتنظر إليه، وهي ما زالت تشعر بالاستغراب لأن لديه القدرة كي يبقى هادئاً على هذا النحو. من المحتمل أن يكون قد فكر بحل لهذه المشكلة. سألته آملة بذلك: «أعتقد أنك توصلت إلى التفكير بشيء ما بهذا الشأن...»

فقال: «الأمر أكثر تعقيداً، في الواقع، وهو يتطلب أكثر من حل بسيط».

وهكذا قضى على كل بصيص أمل كانت تحلم به.

- أكثر تعقيداً؟ من المؤكد أن عليك إخبارهم بالحقيقة..

- في البداية هناك جوزيف.

عيناه السوداوان اللامعتان سيطرتا على حواسها وشعرت كاتي أنها تكاد تصاب بدوار. ثم تذكرت إلى أين أوصلها إحساسها الكبير بهاتين العينين المذهلتين، فحدقت بالمنديل في يدها.

- إنه يحلّق في السماء لفرط سعادته بما حدث، لقد اعطاه ذلك قوة وطاقة لا يمكن تصديقها. علينا أن نتذكر أنه ما زال يتعافى من حالة خطيرة. والآن، إذا أخبرناه الحقيقة وأن هذه المقالات كاذبة، حسناً..

- هل تقصد.. أنه قد يتعرض إلى نوبة قلبية جديدة؟

- من يعلم؟ من المحتمل ألاّ يحدث ذلك، لكن هل نستطيع المخاطرة؟ كما أن هناك والديك. إن لم يكونا قد اطلعا على الخبر بعد، فذلك سيحدث على الأرجح قبل نهاية هذا النهار. ومع أنني لا أعرفهما، لكن الفكرة التي كونتها عنهما من خلال أحاديثك هي أنهما محبّان ويهتمان جداً بك، وقد يصابان بجرح عميق من التفكير بأن ابنتهما الوحيدة..

أخذت كاتي تصغي بقوة إلى كل كلمة يقولها. ولم تجد صعوبة في تخيّل ردة فعل والديها المسكينين والمحبين، فابتلعت غصة كادت تخنقها.

- وهناك أيضاً وضعي المهني..

كرّرت كالببغاء: «وضعك المهني؟»

- لدي سمعة جيدة في العاصمة، وسواء صدقت ذلك أم لا، فإن السمعة الطيبة هي أمر أساسي في العمل، وهي أهم بكثير من القدرة على جني المال. هل من اللائق أن أبدو كرجل يغازل امرأة عارضاً عليها الزواج، ثم يحاول التملص من التزاماته؟ أي نوع من الرجال سأبدو حينها؟

- لكنك تجيد المغازلة، ولا بد أنهم يعلمون بذلك.

صرّ برونو على أسنانه وابتلع ريقه بصعوبة، وغمغم من بين أسنانه: «لقد استمتعت بحياتي كرجل عازب، لكن هذا أمر مختلف تماماً عن مغازلة فتاة شابة بريئة، عارضاً عليها الزواج، لأتخلى بعد ذلك عن التزاماتي نحوها».

فهمست: «لا أحد يعرف أنني شابة وبريئة».

- قريباً سيعرف الجميع ذلك. إذن يطول الأمر حتى يأتي العديد منهم إلى هنا، مع آلات التصوير الجاهزة لأخذ صور للخطيبين السعيدين.

قالت بصوت خفيض: «هذا مخيف، ما الذي سنفعله؟»

ردّ برونو بصوت عميق وخفيض: «أستطيع التفكير بأمر واحد فقط».

ثم مدّ يده عبر الطاولة وغطى يدها وهو يتابع قائلاً: «علينا فقط أن نتظاهر أن هذا الارتباط حقيقي، وأننا خطيبان سعيدان إلى أن تبتعد الصحافة. فهذا الخبر ليس سوى ضجة إعلامية سوف تنتهي سريعاً فينتقل الاهتمام إلى موضوع آخر».

- وماذا عن جوزيف؟ وعن والدي؟

- الأمر هنا أكثر صعوبة. لا نستطيع التظاهر لعدة أيام فقط، لنفاجئهم بعدها بالقول إن ما قمنا به هو غلطة كبيرة.

قالت كاتي وهي تشعر بالذهول: «لا، لا أعتقد ذلك».

- عليك الاتصال بوالديك. إن كان عليّ لقاؤهما، وهذا مما لا شك فيه، فلا أريدهما أن يأتيا إلى هنا وهما يحملان أفكاراً سيئة عني. بالنسبة إليهما، أنا سيء بما يكفي لأنني لم أتصل بهما أولاً كي أطلب يدك للزواج.

- أنت تتصرف بشكل رائع بهذا الشأن برونو، مع أنني أدرك أنك كنت تفضل أن ترسلني إلى أبعد قطب..

وفجأة شعرت بضغط يده على يدها، فسارعت بسحب يدها وهي تقول: «سأتصل بوالديّ».

لم يكن ذلك سؤالاً بل مجرد كلام تخبره به. كانت تدرك أنها تبدو متشنجة كأنها لوح خشبي وراحت تتلعثم بالكلام وهي تشرح الأمر لأمها عبر الهاتف. وبعد مرور خمس عشرة دقيقة، نظرت إلى برونو وقد علت وجهها تعابير حزينة. ثم قالت متنهدة: «إنها تعتقد أن الأمر في غاية الرومنسية، وقالت إنها وأبي ارتبطا بعد مرور أسبوعين فقط على أول لقاء بينهما».

وتنهدت مرة أخرى قبل أن تتابع قائلة: «سيأتيان إلى هنا غداً. لم أستطع منعهما، فهما يشعران بشوق كبير لرؤيتك».

- هذا أمر طبيعي.

- يمكنهما النزول في أي فندق في البلدة، فهي تبعد من هنا مسافة نصف ساعة بالسيارة.

- لا يمكنني القبول بذلك، وكذلك جوزيف. هناك الكثير من الغرف هنا.

- لكن..

كيف يمكنها أن تشرح له أن وجود والديها هنا سيفوق قدرتها على الاحتمال؟ إذ لا يمكنها الاستمرار بالتظاهر إلى هذا الحد. كل ما فكرت به هو اجتماع سريع في منطقة محايدة، كتناول الشاي في فندق. يكفي قضاء عدة ساعات يمضونها معاً في أحاديث مهذبة وعامة، وهكذا سيتقبلان الأمر بسهولة أكبر، عندما تعلن لهما أن خطوبتها إلى برونو قد الغيت، واندفعت تفسر له ما تفكر به من أفكار مشوشة ثم انتظرت إلى أن هز رأسه ببطء وقال: «سيبدو أمراً غير لائق. وأعلم أن جوزيف سيشعر بالإهانة، فأنت تعلمين

أنه رجل مضياف، ولا شيء سيسعده في حياته كاستضافة والديك في منزله. ربما سيهديهما مجموعته الأولى التي حازت على جوائز وسيريهما بالطبع الأوركيديا».

هذا تماماً ما تخشاه كاتي.. فتحت فمها لتشرح له ذلك، لكنه قاطعها قبل أن تبدأ.

- كما يجب ألاّ ننسى أنه ما زال يتعافى من أزمة صحية بالغة الخطورة. أقل توتر عصبي قد يتعرض له كمسألة مقابلة والديك في مكان ما في البلدة، قد يسبب له تراجعاً خطيراً. وأنا أعتقد أنه سيكون أكثر سعادة إذا ما تم اللقاء هنا.

قالت كاتي شاعرة بالبؤس: «لا بد أنك غاضب مني».

- لا تقلي بشأني، أستطيع الاهتمام بنفسي.

- هل تحدثت مع إيزابيل؟

- وما الغاية من ذلك؟ لقد حصل ما حصل الآن. وعلينا فقط أن نتعامل مع هذا الوضع بأفضل طريقة ممكنة.

- وكم من الوقت تعتقد..؟

- اعتقد ماذا؟

- حسناً، كم من الوقت علينا أن نستمر في هذه التمثيلية؟

بدا التوتر على فمه وأدركت كاتي كم سيكون الأمر مزعجاً بالنسبة إليه، وتابعت تقول: «وماذا بشأن عملك؟»

وفجأة اختفى التجهم عن وجهها، وهزت رأسها كأنها تحدث نفسها: «آه، فهمت ما الذي تريد القيام به. ستعود مباشرة إلى لندن، ثم تأتي إلى هنا فقط في نهاية الأسبوع، وبهذه الطريقة..»

وتابعت تشرح ببطء: «يمكننا دائماً القول إن الأمور لم تسر بيننا على ما يرام بسبب ارتباطاتك الدائمة في العمل..»

وفكرت أن لهذا السيناريو الكثير من المنافع.

تمتم برونو بدون أي التزام من قبله: «هذا خيار.. في الواقع».

وما لبثت كاتي أن ابتكرت سيناريو آخر في مخيلتها، خيار آخر لا يجبرها على الإحساس بالألم جراء وجودها بقربه طوال الوقت. هزت رأسها كأنها تحدث نفسها: «نعم، هذا هو! ربما يمكنك الذهاب إلى مكان ما، كالسفر إلى بلد آخر حيث تجد نفسك فجأة متورطاً بعمل يأخذ الكثير من وقتك.. أكثر مما توقعت. أيام.. أسابيع.. بالطبع، سوف أشعر باليأس وأبدأ بالتساؤل كيف يمكننا أن نتزوج إذا كنت ستمضي شهوراً بعيداً عن البلاد. وسيكون من الطبيعي أن تخفق علاقتنا. وحينها سيكون كل من جوزيف ووالديّ مستعدين لحصول ذلك..»

- في الوقت الحالي، علينا القيام بشيء ما بخصوص الخاتم.

قال برونو ذلك بنبرة محبطة، في محاولة ليبعدها نهائياً عن تلك الأفكار ويعيدها إلى الواقع الذي تعمل جاهدة على تجنبه.

- الخاتم؟

- خاتم الخطوبة. سيتوقع جوزيف أن يراك تضعينه في إصبعك عندما يعود من رحلته القصيرة. إذا غادرنا الآن..

ثم نظر إلى ساعته وبدا كأنه يحسب الوقت قبل أن يتابع قائلاً: «.. ستصبح في المدينة بعد نصف ساعة».

كان لديها من الوقت ما يكفي فقط لتأخذ سترتها الخفيفة، متجاهلة أصوات معدتها التي تعلن أنها لم تتناول فطورها بعد.

بعد مرور ساعة ونصف الساعة، وبعد زيارة متجرين للمجوهرات، دون أن يكون فيهما ما يثير إعجاب برونو، سارت وراءه إلى متجر ثالث. بالنسبة إليها، أي خاتم سوف يفي بالغرض، ففي النهاية إنه خاتم لخطبة مزيفة. قالت ذلك لبرونو عدة مرات، فما همه كيف سيبدو ذلك الخاتم؟

عندما قدمت إليها صينية مليئة بالخواتم الماسية لتختار منها واحداً، ابتلعت كاتي ريقها بصعوبة وقالت بصوت مهذب: «أليست هذه الخواتم باهظة الثمن بالنسبة لما تفكر فيه؟»

فتمتم برونو: «لا شيء سوى الأفضل لك».

ومدّ يده ولامس عنقها بنعومة ما جعل وجهها يحمر خجلاً. وبعد مرور نصف ساعة كانت كاتي تضع خاتماً رائعاً من الذهب مزين بحبتين من الماس، لقد أحبت هذا الخاتم حقاً. قالت لنفسها بجدية: اختاري شيئاً لا معنى له عندك، وحدّقت بالصينية المعروضة أمامها والمغطاة بالمخمل الأسود، فوجدت نفسها تمد يدها على الفور إلى أجمل خاتم خطوبة وقعت عيناها عليه.

والآن، لم تستطع منع نفسها من النظر خلسة إلى إصبعها وهي تتساءل ما الذي يمكن أن تشعر به لو أن ما يحصل حقيقي؟ ماذا لو أن برونو يحبها حقاً؟ وسألها برونو: «لِمَ هذه التنهيدة العالية؟»

- هل تنهدتَ؟

نظرت إليه، والتقت عيونهما. فراحت تفكر بشيء ما لتقوله، لكنه ما لبث أن قال: «لم يتسنّ لي الوقت بعد لأشكرك».

وفتح باب المقهى أمامهما، وفي تلك اللحظة أدركت أنهما قد أصبحا في وسط المدينة. لا بد أن تفكيرها كان بعيداً مسافة أميال كي لا تدرك ذلك. وتابع برونو يقول: «لقد أسديتني خدمة».

وطلب لنفسه قهوة مرة ولكاتي قهوة بالحليب. إنها حقاً تفضل القهوة مع الحليب. وتذكرت أنها قالت له ذلك منذ زمن بعيد ومع ذلك فقد أدهشها أنه ما زال يتذكر هذا الأمر.

جلس برونو بارتياح وانتظر إلى أن وضع فنجان القهوة أمامه، ثم عاد يقول: «لم تكوني مضطرة للموافقة على هذا الارتباط، فالضغط كله علي أنا، وعليّ أن أتحمله بنفسي».

تمتمت كاتي: «حسناً، إن بعض اللوم يقع عليّ أيضاً، لوضعك في هذا المأزق منذ البداية. كما أنني لا أستطيع التخلي عنك بهذه السهولة. أعني... هناك جوزيف وعليّ التفكير به. وكذلك والدي. على أي حال، لن يستمر الأمر لفترة طويلة، أليس كذلك؟»

- لكن، لسوء الحظ، قد تكون الأمور أكثر خطورة مما تخيلنا فعلياً.. على الأقل في بداية الأمر.

- ما الذي تقصده؟

- من السهل أن نفكر أننا نستطيع التهرب من الواقع فقط لأن جوزيف يعيش في الريف، فالمناطق الشاسعة تسمح أيضاً بانتشار الإشاعات. ولسوء الحظ، على الرغم من أنني إنسان متحفظ جداً، لكنني أيضاً ذو شهرة في الحياة العامة. لقد تلقيت عدداً لا يحصى من الرسائل الإلكترونية بخطوبتنا وعدداً من الدعوات للظهور في مناسبات عامة.

علا الشحوب وجه كاتي على الفور.

- أحد الزبائن وجه إلينا دعوة لحضور حفلة مساء الغد في قاعة الملك البرت.

قالت بصوت كالصرير: «لكن.. هذا سخيف!»

- كوني مستعدة لمواجهة عدسات آلات التصوير.

رشفت كاتي عدة رشفات من فنجانها وساورها شعور بأنها عالقة في شبكة تكبر وتكبر بصورة مستمرة حتى لم يعد بإمكانها السيطرة عليها. وقالت بيأس: «عليك أن تجد عذراً».

- مثل ماذا؟

- لا أعرف! استخدم مخيلتك! أعلم أننا واقعان معاً في هذه الورطة، لكن..

- سأختصر الكثير من تلك الارتباطات الاجتماعية. أما في الوقت

الحالي، فأعتقد أنها فكرة جيدة أن تجددي خزانتك لتتمكني من التعامل مع الأحداث القادمة.

أنهى احتساء فنجانه، وجلس بارتياح وقد عقد ذراعيه فوق صدره. شعرت كاتي برغبة في ضربه. لقد بدا متفاخراً ومتأكداً من أن باستطاعته السيطرة على كل ما يجري حوله. بالنسبة إليه، لقد اتفقا على القيام بهذا العمل، وهو سوف يتحرك بكفاءة كبيرة ليحقق تلك المظاهر المطلوبة. ولن يهتم مطلقاً لمشاعرها، لا أهمية لكونها ستسير وفق منهجه، تنتظره إلى أن يقرر أن الوقت قد حان لإلغاء هذا الأمر، وذلك بعد فترة مقبولة. أما هي، فعليها أن تقوم بما يطلب منها، وعندما يحين الوقت عليها أن تبتعد عنه، وكأن شيئاً لم يكن بينهما. لن يفكر مطلقاً بأن هذا العمل قد يسبب لها مشكلة. ولِمَ يكون الأمر كذلك؟

- وماذا إذا لم أرغب بتجديد خزانتي؟

هزّ برونو كتفيه: «الأمر يعود إليك. قاعة الملك ألبرت هي عادة مسرح رسمي شهير. مع ذلك، إذا كنت تعتقدين أنك لن تشعري بالارتياح إلا إذ ارتديت هذه الثياب القديمة الطراز لمناسبة كتلك، فالأمر يعود كله إليك».

همست بسرعة من بين أنفاسها: «أنت فظ، وأكره كثيراً طريقتك ه التي تجعلك تظن أن بإمكانك السيطرة على الناس».

- أهكذا تنظرين إلى الأمر؟

- لا أرى لماذا لا نستطيع التظاهر بهذا الأمر لفترة قصيرة من الوقت، لا ذهاب برفقتك إلى لندن ولا ظهور علني.

- لكن هؤلاء الصحفيين سيختبئون خلف أسوار الحديقة بانتظار اللقطات المناسبة. قد يقفز أحدهم من فوق الأزهار، ما سيجعل جوزيف ينكفىء ويبقى داخل المنزل خوفاً من أن يجد نفسه معرضاً لكاميراتهم. فما من عمل أكثر إثارة للصحفي من التسلل سراً لالتقاط أخبار المشاهير. سيعتبرون

رفضك للظهور برفقتي دليلاً على إخفاء شيء ما. وبدلاً من ذلك، اعطيهم بعض الصور اللائقة، وعندها سوف يختفون من طريقك بأنفسهم.

قالت بصوت مرتجف: «ما كان علينا البدء بكل هذا».

- هل تقصدين ذلك العناق قرب البركة في ذلك اليوم؟ أم ما حصل بعد ذلك؟

- كان علينا فقط قول الحقيقة بدلاً من.. من..

- لا جدوى من العودة الآن إلى «كان علينا» فهذه الكلمة تبرهن دوماً أن لا طائل منها مطلقاً.

وقف برونو، ووضع على الطاولة نقوداً أكثر من المطلوب ثمناً للقهوة، وانتظر إلى أن وقفت كاتي على مضض.

كيف تورطت بكل هذا؟ بالكاد لاحظت ما يجري حولها وهما يسيران نحو وسط المدينة. ولم تنتبه للمتجر الذي دخلا إليه إلا بعد أن أصبحا في داخله. عندها فقط رمشت بعينيها وابتسمت لبرونو ابتسامة ضعيفة.

بدأ برونو بالتحدث مع صاحبة المتجر، بدت تلك المرأة سعيدة بالتحدث إليه، وأخذت تعرض عليه المجموعات الجديدة، بينما ألقت على كاتي نظرة سريعة لكنها تحمل الكثير من المعاني.

وعندما أوضح برونو أنهما سيشتريان الكثير من الثياب، أخذت كاتي نفساً عميقاً وقالت بحزم: «ثوب واحد ملائم لمناسبة اجتماعية. ثوب واحد فقط».

ولدهشتها راح برونو يسير باتجاهها وقد علت وجهه ابتسامة ساحرة وعندما وصل بالقرب منها حيث تقف عند الباب تمتم قائلاً: «وأنا الذي كنت أظن أن النساء مولعات بشراء الثياب!»

همست له بصوت خافت: «لا تقف قريباً مني هكذا».

- نحن مخطوبان، تذكري ذلك. هناك ميل لدى الخطيبين بأن يقف

أحدهما بالقرب من الآخر، وهذا أمر متوقع في مطلق الأحوال، وعليك أن تعتادي على ذلك. قد يشعر كل من جوزيف ووالديك بالقلق إذا أمضينا السهرة وكل منا يقف في جانب من جوانب الغرفة.

- حسناً، لا أرى والديّ أو جوزيف في الجوار في هذه اللحظة، أليس كذلك؟ لا أرى سوى بائعة متكبرة لا تعرفنا على الإطلاق.

أجابها ببساطة: «لا جدوى من القيام بعمل ما إلا إذا أقمنا به بشكل صحيح».

تمنت لو أنه يبتعد عنها، فقد استعاد جسدها ذكرى عناقه وقربه منها ما جعل الحرارة تنتشر في كل خلية من خلاياه وهذا ما لم تكن ترغب به في تلك اللحظة.

لا بد أن برونو قرأ أفكارها إذ ابتعد عنها وجلس على كرسي موضوع في إحدى جهات الغرفة، ليتمكن من النظر بتمعن إلى الثياب المختلفة التي سترتديها. ثم قال مخاطباً البائعة: «نريد عدداً من الأثواب للأوقات العادية، ولكن لا داعي لأي طراز سخيف أو مبالغ فيه، وثوب مميز لترتديه في حفلة ملكية».

نظرت كاتي باتجاه الكرسي وركزت بصرها على برونو بغضب: «أعلم أنني مجرد موظفة تقوم بدور معين، لكن ألسنا نبالغ قليلاً في هذا العمل؟ هل لديك فكرة كم سيبلغ ثمن هذه الثياب؟ كما أنني لن أتمكن من استعمالها ثانية أو إعادتها. وهكذا فأنت ترمي مبلغاً من المال هباء عندما ينتهي هذا العمل وتنتهي مهمة هذه الثياب».

توترت شفتا برونو ونظر إليها ببرودة قائلاً: «أرى أن هذه الملاحظة بالتحديد دون معنى».

لكن على الرغم من البرودة الواضحة في صوته والغضب الحاد الذي يلتمع في عينيه السوداوين شعرت كاتي بالسرور لأنها تمكنت بطريقة ما أن

تخترق عدم مبالاته وتدفعه للقيام بردة فعل.

عادت تقول بإصرار وقد بدت ثقتها بنفسها أكبر: «إنها الحقيقة. فما إن ينتهي هذا العمل، كل هذه الثياب ستكون مالاً ضائعاً».

شعرت بالمزيد من الرضى وهي ترى وجهه يكفهر ثم يتمتم بخشونة: «يمكنك الاحتفاظ بتلك الثياب اللعينة، وبالخاتم أيضاً، في الواقع... انسي أمر المال».

- من المؤكد أنني لن أحتفظ بها.. وخاصة الخاتم.

وحركت الخاتم في إصبعها عمداً وهي تقول: «خاتم الخطوبة يجب أن يكون له معنى خاص، وهذا الخاتم لا يعني شيئاً على الإطلاق. عندما أضع خاتم خطوبة لأحتفظ به، فإنه سيكون مقدمة لارتباط يستمر إلى الأبد، وليس.. شيئاً كهذا».

غدا وجهه الآن أكثر قسوة وراح يحدق بها بملامح قاسية كالحجر، ثم قال بصبر لكن بصوت حاد: «أعتقد أن البائعة باتت منزعجة قليلاً. وهذا النقاش لن يوصلنا إلى أي مكان. إذا قررت ألاّ تحتفظي بهذه الثياب، عندها سوف تذهب إلى دور الإحسان».

وأبعد نظره عنها ثم وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى وأحنى رأسه للبائعة قليلاً كإشارة لأن تتحرك وتبدأ عملها على الفور.

بالطبع، لن تحتفظ بهذه الثياب، فهي ليست من طرازها مطلقاً. وفكرت أنه على الرغم من معانقته لها، يبدو أنها لم تترك لديه أي مشاعر على الإطلاق.

همس صوت صغير في رأسها، إذا كانت هذه مسرحية، فلِمَ لا ترضى بالقواعد التي وضعها وتدخل في هذه اللعبة حتى النهاية؟ ربما تستطيع أن تبرهن له أنها ليست تلك الفتاة الريفية القديمة الطراز التي استخدمها عرابه، وأن بإمكانها أن تبدو جميلة وجذابة إذا أرادت ذلك.

لم تفعل ذلك مطلقاً من قبل، لكنها شعرت بالفرح عندما وجدت الأمر

٨ - رقصة الملائكة

استلقت كاتي في سريرها وراحت تحدق بالسقف. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، ولم تزعج نفسها بإنارة الغرفة. على أي حال، كان ضوء القمر قد تسلل من خلف الستائر ملقياً بظلال خافتة على محتويات الغرفة.

لم تستطع أن تعطي تقييماً لتلك الليلة؛ أهو نجاح عظيم أم فشل لا نهاية له؟

وصل والدها في فترة بعد الظهر، ولم تتفاجأ لأنهما تأثرا كثيراً بضخامة المنزل واتساع الحدائق. سرّت كاتي جداً برؤيتهما. تجوّلت معهما في المنزل وفي الحدائق، وتحدثت عن برونو فقالت كل ما تستطيع قوله عنه، وتمنت أن تبدو مقنعة في كلامها. ثم أخذا استراحة قصيرة، وبعد ذلك وصل جوزيف وراح يعتذر لأنه لم يكن موجوداً لاستقبالهما. ثم قال والفرح بادٍ في عينيه: «تعرفان أن رجلاً عجوزاً ذا قلب متعب يحتاج لقضاء نصف يومه في السرير».

وسرعان ما ذاب الجليد منذ اللقاء الأول. شعرت كاتي بالارتياح عندما لم يلح والداها بالسؤال عن برونو، الذي أمضى أكثر من ثلاث ساعات في اجتماع مهم عبر الانترنت مع فرع الشركة في أميركا، والذي لم يظهر بعد لاستقبالهما. تناول الأربعة الشاي على الشرفة، وراحت أمها تتكلم بفرح عن حدائق جوزيف. لكن من الطبيعي ألاّ يستمر الوضع على هذا النحو. فما إن بدأ الحديث عن برونو حتى استرعى ذلك اهتمام أمها وانهالت عليها بسيل من الأسئلة... أسئلة محددة مهمة، ولاذعة أحياناً.

كيف هي شخصية برونو هذا؟ لم هذا التسرع في إعلان الخطوبة؟ هل

كله أكثر متعة وسهولة مما تخيّلت. أخذت تبدل الثياب وهي تدور في المكان شاعرة بالفرح، لأن تلك الثياب تبدو عليها جميلة وأنيقة. لقد بدا جسمها فيها رشيقاً ومتناسقاً وليس جسماً صبيانياً كما كانت تعتقد دوماً.

لم يصدر عن برونو أي صوت يظهر إعجابه، وأزعجها ذلك كثيراً. ومع أنها حاولت أن تتجاهل ذلك الألم الذي شعرت به في قلبها بسبب خيبة أملها، لم تستطع تجاهل الألم الذي أصابها لأنه لم يعط أي ملاحظة لها وإنما وجه كلامه للبائعة فقط. وعندما انتهت من تجربة الملابس، نهض من مكانه ببساطة، وطلب من البائعة أن ترسلها إلى المنزل عند منتصف النهار. ثم دفع الفاتورة وخرج من المتجر.

ذلك الألم الذي شعرت به أوجد جداراً من الثلج بينهما. وما إن غادرا المتجر حتى استدارت كاتي نحوه بفرح وهي تقول: «لقد غيّرت رأيي».

سألها برونو دون أن يلتفت إليها أو يظهر أي اهتمام: «بشأن ماذا؟»

- بشأن الثياب. يمكنك استعادة الخاتم، لكن ربما سأحتفظ بالثياب...

نظرت إليه نظرة سريعة، وهي تشعر بالانزعاج من نفسها لأنها كانت تتوق لأن يطري على جمالها ومظهرها في تلك الثياب. وتابعت ببساطة: «ففي النهاية، ما إن ينتهي هذا الأمر ستصبح هذه الثياب متوفرة وجاهزة كي أرتديها عندما ألتقي بأصدقائي الشبان. لقد كنت على حق، لا يمكنني أن أدفن نفسي هنا إلى الأبد. بالطبع، سأبقى في عملي لدى جوزيف، لكن هناك عالم بأكمله في انتظاري.. أليس كذلك؟»

تسنى لهما الوقت الكافي لمعرفة بعضهما البعض جيداً؟ أي نوع من الرجال هو؟ هل هو رجل يحب الحياة الأسرية؟ ومتى سيقرران الزواج؟..

وعندما اعتذر جوزيف بلباقة كي يذهب ويتحدث إلى ماغي بشأن العشاء، تعرضت كاتي لهجوم ثنائي قاسٍ. وفي الوقت الذي خرج فيه برونو من المكتب كانت كاتي قد شعرت بالإرهاق وبأنها مطاردة. تمنت لو أنها تستطيع محادثته على انفراد كي يدعم بكلامه ما قالته لوالديها، فيتحدث بحذر ويتجنب الكثير من الإجابات الواضحة التي قد تسبب لهما الإحراج عندما يبدآن باعلان فشل خطوبتهما. إلا أن برونو بدا لها في مزاج سيء.

لا أحد سواها تمكن من ملاحظة ذلك، إذ إن لدى برونو من السحر ما يجعله يكسب مودة أي كان، ووالداها ليسا شواذاً عن القاعدة. قام بدور السيد الرائع، بدا مسلياً، وطرح عدداً لا يحصى من الأسئلة، وأجرى حديثاً طويلاً مع والدها في مواضيع شتى تهمه. كما بدا تواقاً بشدة لإظهار مشاعره نحوها. راح يرمقها بنظرات حميمة... وضع يده حول خصرها، وعانقها عناقاً سريعاً. وكان جسمها يستجيب لكل لمسة من لمساته أو حركة من حركاته. لكن أسوأ ما في الأمر هو مزاجه السيء ذلك والذي لم يشعر به أحد سواها.

هذا المشهد برمته جعلها تدرك كم هي ممزقة المشاعر. نامت بشكل متقطع بعد مرور ساعتين، لتستيقظ على أشعة الشمس الساطعة وهي تملأ الغرفة ذلك أنها نسيت أن تغلق الستائر.

قالت لنفسها إنها تحتاج لأن تتحلى بالتصميم والعزيمة، وبدأت بارتداء ملابس من تلك التي ابتاعتها من قبل، الملابس الجديدة الرائعة. اختارت قميصاً ضيقاً من اللون التبني وتنورة من القماش نفسه تصل إلى ما تحت ركبتيها، إنها من نفس الطول الذي اعتادت أن ترتديه، لكن هذه المرة كانت التنورة ضيقة عند وركيها ما أظهر تناسق جسدها وجماله.

هكذا، شعرت أنها أصبحت جاهزة للمواجهة.

وصلت كاتي إلى الطابق السفلي لتكتشف أن توقيت وصولها ممتاز جداً. فقد كان الجميع هناك، وقد أعدت لهم ماغي فطوراً شهياً في غرفة الطعام. وبعد تبادل بعض الأحاديث المرحة، جلست وأعدت نفسها للبدء بتنفيذ خطتها. كان جوزيف يجلس بين والديها أما برونو فقد جلس قبالتها. نظرت إليه مباشرة وقالت: «يفاجئني أنك لست منهمكاً في العمل عزيزي».

مع أنها لم تحظ منه بكلمة مديح واحدة عندما كانا في متجر الثياب، حين راحت تتبختر أمامه بملابس متنوعة، لاحظت الآن بحزن أنه مستعد لأن يكيل لها المديح فيخبرها كم تبدو فاتنة، وذلك ما إن ظهرت في غرفة الطعام. وقد بدا كأنه يقصد كل كلمة يقولها... تبادل جوزيف ووالدها نظرات السعادة، أما هي، فعلى العكس تماماً، رأت تصرفه هذا على حقيقته لا أكثر ولا أقل؛ المزيد من التظاهر.

قال برونو: «نهار عطلة».

ورمقها بنظرات حميمة وكأن ليس هناك سواهما في الغرفة ما جعل الاحمرار يغزو وجهها.

تنهدت كاتي ونظرت إلى الآخرين مبتسمة: «آه، هذا أمر غير اعتيادي. فبرونو هو رجل أعمال مثابر على عمله، أليس كذلك؟»

وتدخل جوزيف قائلاً بمرح: «إنه يعمل بلا ملل، وهو دائماً هكذا. لو تعلمان كم بلداً يزور في العام الواحد!»

وبادرت كاتي إلى استلام زمام الحديث قبل أن يبدأ برونو بالتحدث عن البلدان التي زارها، فقالت: «المئات، كما أعتقد».

وعلى الفور لمحت بوادر الاهتمام على وجه والدها. وإذا ببرونو يضع السكين والشوكة جانباً وينظر إليها وقد بدا عليه التوتر ثم يقول: «ليس تماماً».

وسألته أمها: «ما هي الأماكن التي زرتها؟ وهل من مكان مميز بصورة

خاصة لديك؟»

هنا استدار برونو نحوها وراح يصف لها ببراعة الأماكن التي زارها، والعادات التي تعرف إليها، كذلك أصناف الطعام الغريبة التي تذوقها. وخلال ذلك الوقت، شعرت كاتي أن غضبه موجه إليها وحدها. ولحظة تفرق الاجتماع العائلي، واعتذر والدها وانسحبا ليتمكنا من ترتيب حقائبهما استعداداً للعودة إلى منزلهما، واجهها برونو بقوله: «ما كان كل هذا؟»

- ماذا تعني بذلك؟

- أنت تعلمين عمّا أتحدث كاتي. هذا الاهتمام المفاجىء بمئات البلدان التي أسافر إليها كل سنة!

هزت كاتي كتفيها وقالت: «فكرت فقط أنه يجب علينا البدء ببناء المشهد الذي سيمهد لعدم توافقنا المحتوم. أما إذا استمرينا بالسير على طريقتك، فسوف يبدأ الجميع بسؤالنا متى سنحدد موعد الزفاف، فماذا سنفعل عندئذٍ برأيك؟ من الأفضل أن نبدأ بزرع بعض الشك في علاقتنا».

بدا وجهه أكثر تجهماً مما كان عليه، لكن كاتي لم تعد تنوي التراجع.

- من المحتمل أن يتناول والديّ الشاي قبل أن أوصلهما إلى المحطة، وأعتقد أن عليك أن تبدأ بالتذمر لعدم قدرتك على البقاء في مكان واحد لأسابيع طويلة. يمكنك القول إن عملك يجبرك على السفر بصورة دائمة وإن شركاتك بحاجة إليك هنا وهناك.

- بكلمات أخرى، علينا أن نقدم كذبة تلو أخرى.

- لكن هذا كذب ذو قيمة.

كانا يتحدثان وهما في غرفة الجلوس، وكان بإمكان كاتي أن تسمع حركة ماغي وهي ترفع الأطباق عن المائدة في غرفة الطعام. في غضون دقائق سيعود والدها وكذلك جوزيف. فقالت بسرعة: «أعرف أمي جيداً».

وسارت لتقف بالقرب من النافذة، وبات عليها أن ترفع رأسها لكي تتمكن من النظر إليه. وتابعت تقول: «لا أعلم كيف فعلت ذلك، لكنك تمكنت من إقناعهما بأنك الصهر المثالي. لا، أنا أتراجع عما قلته في الواقع. فأنا أعلم كيف فعلت ذلك. لأنك متمرس في الكذب ولا يردعك عن ذلك أي رادع أخلاقي. أليس كذلك؟»

انحنى برونو إلى الأمام ووضع راحتيه على جانبيها فحاصرها بين ذراعيه.

- لقد قمنا بذلك معاً، وليس من اللائق أن تحاولي إلقاء اللوم علي وحدي.

- حسناً، لقد أرتكبت غلطة كبيرة وأستطيع البدء بمعالجة الأمر الآن. لكن ذلك لن يتم بتشجيع والديّ على الاعتقاد بأن هذا الارتباط سيوصلنا إلى مكان ما. وكل ما أحتاج إليه هو بعض المساعدة منك.

سألها برونو ببرودة: «ولِمَ هذا الإحساس المفاجىء بالسرعة؟ لم يأتِ أحد على ذكر موعد الزفاف».

- لا أهمية لذلك الآن. إذا كان أحد لم يأت على ذكر موعد الزفاف الآن فذلك لأن والديّ أتيا بهدف التعرف إليك. والآن، بعد أن اجتزت الامتحان، لن يمر وقت طويل قبل أن أبدأ بتلقي الاقتراحات بشأن بطاقات الأفراح وأماكن الاحتفال وفساتين الزفاف.

وشعرت كاتي بالارتجاف من إمكانية متابعة هذه التمثيلية حتى ذلك الوقت.

شعرت بأنفاسه الحارة على وجهها، فتابعت بيأس: «والداي من الطراز المحافظ وهما لا يريان أي جدوى من الخطوبة إلا إذا كان هناك موعد محدد للزفاف! وربما كان جوزيف كذلك أيضاً. أعلم أنه استعاد صحته بشكل رائع، لكنه لا يزال يشعر بالضعف. وقد يفكر أن الوقت ليس لصالحه وأن على ابنه أن يقوم بعقد زفافه في أقرب فرصة ممكنة. هل فكرت بذلك؟»

ألقت عليه نظرة من تحت رموشها ولاحظت كيف غدا لون وجهه داكناً وهو يقول: «بالطبع، فأنا أفكر أن هناك أموراً كثيرة يجب أن أخذها بالحسبان».

البرودة التي نضحت من صوته أرسلت رجفة على امتداد عمودها الفقري فسألته بقلق: «هل يتعلق بعض هذه الأمور بما كنت أقوله؟»

كانت كاتي قد بدأت تعتاد على وجودها قرب برونو، ولم تعد تشعر بالتوتر بسبب ذلك. أما الآن، فإن الملامح المخيفة التي علت وجهه جعلت قلبها ينتفض في صدرها كأنه عصفور في قفص.

- استطيع القول إنني أقيم علاقة بين ما قلته البارحة وما تخبرينني به الآن..

- ماذا؟ ماذا قلت البارحة؟

علا العبوس وجهها وحاولت أن تعود بالذاكرة إلى يوم أمس.

- الثياب. الثياب التي قررت الآن فجأة أن تحتفظي بها، لأنك أدركت، فجأة، أنها أصبحت في متناول يدك. آه، نعم. الفتاة الخجولة التي كانت تتعثر بثيابها الفضفاضة، أصبحت تملك خزانة من الثياب الأنيقة. وبات بإمكانها أن تذهب بعيداً للحصول على رجل ما. ألم تقولي ذلك بنفسك؟ ولم الانتظار ما دمت تستطيعين القيام بذلك في أقرب وقت؟ الآن فهمت لِما باتت هذه الخطوبة المزيفة تثير أعصابك فجأة..

- يمكنك استعادة ثيابك!

- ما هو شعورك وأنت تتحولين من فتاة بريئة إلى امرأة جريئة، كاتي؟

راح ينظر إلى وجهها المتوهج متخيلاً أنها ستذهب إلى البلدة وهي ترتدي هذه الثياب الرائعة التي تبرز مفاتنها، فتسحر الرجال بنظراتها المثيرة والبريئة معاً. وانفجرت هذه الفكرة في رأسه كالألعاب النارية، فشعر بموجة غير متوقعة من الغيرة لم يشعر بها من قبل، ولم يعد يعرف ماذا سيفعل.

- لقد حاولت إقناعي بشدة بأنك لا تشبهين أبداً النساء اللواتي عرفتهن من قبل، والآن عندما أفكر بالأمر، أتساءل لماذا كنت تريدين اقناعي بذلك. ربما كان لديك خطة ما، أليس كذلك كاتي؟ هل قمت بوضع خطة للتأثير عليّ؟ ففي النهاية، عليك الاعتراف بأنني عريس مناسب جداً..

- خطة للتأثير عليك! ولماذا أفعل ذلك؟

أجابها برونو بقسوة: «أنت في الثالثة والعشرين من عمرك، وربما قررت أن الوقت قد حان للحصول على زوج. وهل هناك أفضل من رجل عازب وثري؟ بل شديد الثراء؟ وبعد خروج إيزابيل من حياتي لن يساورك أي إحساس بالذنب..»

راح يحدق في وجهها المذعور وعينيها المتسعتين من الدهشة. إنه يعلم جيداً أن ما يقوله غير قابل للتصديق أبداً، لكنه يتهجّم عليها، فاقداً السيطرة على نفسه وهذا ما يثير جنونه.

ابتعد عنها محاولاً أن يستعيد سيطرته على نفسه. حركت كاتي يديها بقلق، وأخيراً سارت نحو الأريكة التي جلس عليها، وقالت: «أنا لا أعرف عما تتحدث. فأنا لا أطمع منك بأي شيء، ولا أعرف كيف أنشأت سلسلة من الأحداث لتصل إلى تلك النتيجة الخاطئة. صودف أننا وجدنا نفسينا في وضع غريب.. أقصد لولا إيزابيل ورغبتها في الانتقام منك، لما كنا هنا الآن!»

وإذا ببرونو يقول مكشراً: «لا، لما كنا هنا مطلقاً. لكننا هنا الآن، ولا نستطيع التملص منذ اليوم الأول».

شعرت كاتي أنها بحاجة لتوضيح الأمر: «أعترض على قولك لي إنني أصطاد الفرص. فأنا لم أخطط.. لما حدث بيننا، ولست أهتم مطلقاً إن كنت تملك المال أم لا، فهذا أمر كريه.. واتهامك لي غير منصف في الواقع».

شعرت بالدموع تملأ عينيها، لكنها قاومت البكاء بشدة.

قال برونو وقد غدا وجهه داكناً: «حسناً، أعتذر منك».

اعتذاره جعلها ترغب أكثر في البكاء، فقد أثار مشاعرها وأحاسيسها. أطلق برونو تنهيدة ملؤها الإحباط، ثم انحنى وضمها إليه ليعانقها. وراحت يداه تعبثان بشعرها ليهدىء مشاعرها المضطربة.

- ما.. ما الذي.. تفعله؟

- تقصدين ما الذي نفعله؟

- لماذا تعانقني؟

- لأنني أريد ذلك، ألا ترغبين بذلك أنت أيضاً؟

- أريد..

هي تعلم ما ترغب به، أو على الأقل هي تعتقد أنها كذلك.. ترغب بأن تضع مسافة بينهما.. ترغب بأن تتخلص من تلك المشاعر التي تسيطر عليها.. حدّقت كاتي بعينيه السوداوين اللامعتين، وإذا بكل الاعتراضات تموت في حنجرتها. وبدلاً من أن تبتعد عنه، اقتربت منه أكثر واستسلمت لعناقه الدافىء.

سمعا معاً أصوات خطوات وغمغمة أحاديث تقترب. فابتعدت كاتي عنه على الفور لتستعد لرؤية والديها وهما يدخلان إلى الغرفة. كانا قد حزما امتعتهما وأصبحا جاهزين للمغادرة، وأخبراهما أن جوزيف عرض عليهما أن يوصلهما جيمبو إلى المحطة. في الظروف العادية، كانت ستستمتع بمرافقتهما إلى المحطة وبتناول الشاي معهما بانتظار وصول القطار، لكن هذه المرة، شعرت بأن أفكارها مشوشة وأن عليها التخلص من الكثير منها قبل أن تورط والديها بالأمر أكثر.

رافقتهما مع برونو وجوزيف إلى الخارج، حيث وقف الجميع في الطريق الخاصة بالمنزل. وضع برونو يده حول خصرها مظهراً اهتمامه بها. وما إن انطلق الرانج روفر ودخل جوزيف إلى المنزل حتى ابتعدت كاتي عنه. لم تستطع أن تنظر إليه مطلقاً، مع أنها تدرك جيداً أنه قربها حتى لو لم ينطق بأي كلمة.

بدا لها من السخافة أن تنغمس بالتحدث معه حول المحافظة على اتفاقهما، والقيام بكل ما هو ضروري فقط أثناء فترة خطوبتهما المزعومة، بينما كانت منذ قليل تعانقه بشغف. سألته بنبرة صوت محايدة: «في أي وقت سنغادر بعد الظهر؟»

لم تقترب منه ولم تنظر إليه، وبدلاً من ذلك راحت تنظر إلى الحجارة تحت قدميها.

- ستصل السيارة عند الساعة الخامسة والنصف. لكن ما بك؟

رفعت كاتي بصرها نحوه واحمر وجهها خجلاً.

- سوف تكون الأمسية فاشلة تماماً إذا ما استمريت في مزاجك الصامت والمتأمل هذا. لذا، أقترح عليك أن تخبريني بما تفكرين به.

- أنت تعلم ما أفكر به.

- أنت تلومين نفسك بسبب ذلك العناق، أليس كذلك؟

هزت رأسها موافقة وعقدت ذراعيها على صدرها.

- حسناً، لن أضيع وقتي بالتحدث إليك محاولاً إخراجك من عقدك المركبة تلك.

وتابع بصوت أجش وهو يرمقها بنظرات غامضة: «يمكنك أن تضعي اللوم عليّ أنا فقط. فأنا من عانقك أولاً، وهذا لن يحدث ثانية».

- لن يحدث؟

لسبب ما، تأكيده الحاسم أصابها بخيبة الأمل، لكنها تمكنت مع ذلك من إطلاق تنهيدة ارتياح.

- لن يحدث.

- هل تقصد لأنني لم أعد أعجبك؟

ابتسم لها برونو ابتسامة ساحرة، لكنه ظل بعيداً عنها وقال: «أنا لم أقل هذا مطلقاً. ما أقصده هو أنني لن ألمسك إذا كنت ستعانين من كل هذا الألم

بعد ذلك. بالطبع هذا لا يعني أنني لن أفعل ذلك إذا قررت أنت القيام بالخطوة الأولى».

وبسرعة اختفى الإحساس بخيبة الأمل ليحل محله إحساس بالفرح. لكنها ما لبثت أن ذكرت نفسها بمئات الأوجه السلبية لاقتراحه هذا، فقالت باقتضاب: «حسناً، لن أفعل ذلك. سيكون هذا مجرد عمل أحمق».

ليتها تستطيع الاستسلام لمشاعرها بدون أن تفكر بالمستقبل! ليتها تستطيع أن تعيش اللحظة دون مبالاة بما سيحدث بعدها. . وقبل أن تبدأ بالتحدث عن أفكارها بصوت مرتفع، بدأت بالتحرك نحو المنزل وهي مدركة أن برونو يسير خلفها تماماً. واقترحت: «هل نلتقي في غرفة الجلوس إذن عند الساعة الخامسة والنصف؟»

- هل تشعرين بأنك أفضل حالاً بعد حديثنا القصير؟

هزت كاتي كتفيها قائلة: «سأشعر بأنني أفضل حالاً عندما تنتهي هذه الأمسية».

ثم سألته فجأة: «هل ستعود إلى لندن، برونو؟ لا أتخيل أنك ستبقى محتجزاً هنا إلى وقت غير محدد، حتى لو كنا مضطرين للمحافظة على بعض المظاهر بسبب هذه الخطوبة المزيفة».

ضاقت عينا برونو ونظر إليها متأملاً: «لدي عمل في الخارج، سأذهب إلى البلدة. لذا لن أكون هنا في موعد الغداء».

قالت بسرعة ومن دون تفكير: «إلى أين أنت ذاهب؟»

وسرعان ما احمر وجهها خجلاً بسبب حشريتها. أجال برونو بصره على وجهها متفحصاً وقال بتكاسل: «لدي موعد سرّي مع شقراء فاتنة».

فتحت كاتي فمها بدهشة وارتباك، ولزمها عدة ثوان لتدرك أنه يحاول إغاظتها. ثم انفجرت قائلة: «أمر مضحك حقاً».

- هل تغارين؟

- بالطبع لا! أنت حر في أن تفعل ما تريده.

- على الرغم من أننا مخطوبان؟

هزّ برونو رأسه وتابع يقول: «هل تظنين أنه ليست لدي مبادىء على الإطلاق؟»

- نحن لسنا مخطوبين، كما أعتقد حقاً أن ليس لديك أية مبادىء.

غدت عيناه قاسيتين فجأة وقال: «هذا الأمر يحتاج إلى حديث طويل بشأنه، وليس لدي الوقت لذلك الآن. الفتاة الشقراء، في الواقع، هي محام في الخمسين من عمره وهو يعمل على قضية لي هنا».

- حسناً.

شعرت كاتي بعدم الارتياح وبأنها تصرفت كالحمقاء، باتهامها له بأنه لا يملك أي مبادىء على الإطلاق. أرادت أن تعتذر له لكنها لم تعرف كيف تقول له ذلك. لاحظت بوضوح كم يبدو مستعجلاً للخروج، فقد نظر إلى ساعته مرتين.

عندما يعانقها يصبح إنساناً مختلفاً، حتى إنها تصدق أنه يكنّ لها الكثير من المشاعر. لكن عندما يقف على بعد خطوات منها، كما هو الآن، وهناك أمور تشغل باله، تشعر كاتي أن ذلك الجزء الآخر من شخصيته ليس سوى مجرد أوهام في خيالها.

فكرت وهي ترتدي ثيابها للذهاب إلى حفلة لا ترغب في حضورها، أنها سوف تتحدث معه الليلة بجدية عما سيفعلانه بشأن هذا الوضع المربك. إنها ببساطة لم تعد تستطيع احتمال الأمر. عليه أن يجد حلاً عملياً لمشكلتهما، هذا ما قررته كاتي وهي تأخذ وقتها في وضع المساحيق على وجهها، خائفة من أن تبدو كممثلة من الدرجة الثانية في ظهور سيء على المسرح.

عند الساعة الخامسة والربع أصبحت جاهزة فوقفت تنظر إلى صورتها في المرآة، وإذا بتلك المرأة التي تحدق بها من المرآة لا تشبهها وكأنها تحولت إلى

امرأة أخرى. فقد ازداد طولها المتواضع حوالى عشرة سنتيمترات وذلك بفضل حذائها الناعم العاجي اللون ذي الكعب المرتفع، كما أن نحافتها لم تعد تبدو صبيانية الشكل بل رشيقة وأنيقة بثوبها الطويل العاجي اللون والذي ينسدل بانسياب على جسمها فيظهر نحافة خصرها وجمال كتفيها وعنقها. كانت قد رفعت شعرها، وهي نادراً ما تفعل ذلك. لأن ذلك يتطلب منها وقتاً وجهداً كبيرين، وتركت بضع خصلات منه حول وجهها. أما عيناها فبدتا متسعتين رائعتين.

رمقها جوزيف بنظرة ماكرة، وبالغ في الإطراء عليها إلى أن قال إنه يعتقد أن من الأفضل لهما، هي وبرونو، أن يبقيا الليلة في لندن.

وتساءلت بقلق كيف سيشعر جوزيف عندما ينقلان إليه خبر انفصالهما. كانت ما تزال غارقة في أحلامها عندما دخلت إلى غرفة الجلوس عند الخامسة والنصف وأول ما لمحت من برونو حذاءه المصنوع يدوياً من الجلد الطبيعي الأسود. انتقلت عيناها ببطء إلى الأعلى لتنظر إلى بذلته الرسمية السوداء وقميصه البيضاء اللون، وقد وضع ربطة عنق سوداء على شكل عقدة. وشهقت: «واو!».

رفع برونو حاجبيه ونظر إليها بمرح قائلاً: «الإعجاب متبادل».

إنه يبدو رائعاً. هو دائماً يبدو رائعاً، إلا أنه الآن، في ثيابه الرسمية الأنيقة، جعلها تشعر بالجفاف في فمها. وإذا به يقول: «هل تشرفينني بمرافقتي إلى الحفلة؟»

رفع مرفقه لتتمكن من تأبط ذراعه. وسألته كاتي بخفة: «وماذا يحصل عندما تدق الساعة معلنة منتصف الليل؟»

قالت ذلك وهي تفكر بالحقيبة الباردة التي تنتظرهما خلف المنعطف. في الواقع، ربما عند منتصف الليل، عندما تنتهي الحفلة ستجلس مع برونو لتخبره ما يجب أن تخبره به.

- تأكدي من ترك حذاءك وراءك كي أتمكن من تتبع أثرك.

لم تكن مستعدة على الإطلاق لذلك المهرجان الذي رافق وصولهما إلى قاعة الملك ألبرت.

حاولت كاتي أن تقنع نفسها أن بإمكانها الدخول إلى القاعة الملكية، من دون أن يلاحظها العديد من الناس. لم تتوقع ذلك الحشد من المصورين الذين ينتظرون وصولهما للبدء بالتقاط الصور لهما. ما إن خرجت من السيارة حتى سلطت عليها أضواء الكاميرات وتدافع حولهما الصحفيون لالتقاط أفضل اللقطات. مدّت يدها بصورة لا شعورية وأمسكت بيد برونو، وشعرت ببعض الاطمئنان عندما تجاوب بأن ضغط برقة على يدها.

بدأت تدرك وهي تشعر بالذهول أن برونو غيانيلا هو أكثر شهرة مما كانت تتوقع. فقد كان معروفاً من عدد لا يحصى من المشاهير، الذين جاؤوا يلقون عليه التحية ويتحدثون إليه بإهتمام. بدا حضوره قوياً ومسيطراً ما جعله محور اهتمام الكثيرين، وبما أنها جاءت برفقته فقد كانت هي كذلك أيضاً.

وعندما جلسا أخيراً همست: «لم أدرك من قبل أنك بهذه.. الأهمية».

كان برونو قد وضع يده بارتياح على حافة المقعد بينهما، فانحنى قليلاً نحوها وسألها بعد أن استدار لينظر إليها باهتمام: «هل كنت ستتصرفين بطريقة مختلفة؟»

- بالطبع! كنت لأحاول تجنبك أكثر مما فعلت عندما تأتي لزيارة جوزيف!

وعلقت أنفاسها في حنجرتها ما إن رأت ابتسامة خالصة من التسلية تنير وجهه، قبل أن يتمتم قائلاً: «أتساءل لما أصدق كل كلمة تقولينها..»

ثم أبعد نظره عنها عندما خفتت الأنوار وبدأت الأوكسترا بالعزف.

كل ما في السهرة بدا ساحراً ومؤثراً، ومعظم الحضور من الشخصيات

المشهورة. كما كانت الحفلة الموسيقية رائعة. كل ذلك زاد من إحساسها بأن ما يجري ليس سوى مجرد فصل من مسرحية سوف تحتفظ بها في ذاكرتها دوماً، لأنها، بالطبع، لن تتكرر ثانية.

شعرت كأنها متطفلة في ذلك المكان، فأطلقت تنهيدة وهي تنظر إلى برونو عند انتهاء الأمسية، فيما كان الجميع يخرجون متوجهين إلى سياراتهم الفخمة التي تنتظرهم في الخارج.

- لَم يساورني شعور بأن هذه التنهيدة تخفي وراءها تعليقاً سخيفاً يقول بأنه لم يكن يجدر بك أن تكوني هنا؟

- حسناً..

ونظرت كاتي حولها إلى أولئك النساء الجميلات اللواتي يتألقن في ثياب أنيقة وتابعت: «.. لأن هذه هي الحقيقة، كما أظن».

قال بنبرة واقعية: «أنت أفضل من معظم هؤلاء الناس. فالذي ترينهم أمامك ليسوا سوى مجرد أقنعة غالية الثمن».

ثم هز كتفيه ونظر حوله باستهزاء: «في النهاية، هم لا يساوون شيئاً».

- أعلم أنك تقول هذا لتجعلني أشعر بحال أفضل، لكن شكراً لك على أي حال.

وشعرت نحوه بحب عميق ومؤلم في آن معاً، إلا أنها ابتسمت له وهي بالكاد تشعر ببرودة الهواء على ذراعيها، وبالكاد تنبهت لوجود المصورين الذين ما زالوا منتظرين في الخارج لأخذ اللقطات الأخيرة لهما. ومن المؤكد أنها لم تلاحظ تلك الشقراء الطويلة القامة التي كانت تتجه نحوهما وإلى جانبها رجل طويل أشقر الشعر.

في الواقع، لاحظت كاتي وجود إيزابيل في اللحظة التي سمعت فيها صوتها البارد الحاد وهي تقدم التهاني للخطيبين السعيدين.

رمشت كاتي بعينيها وهي ترى إيزابيل تحدق بها بقوة بعينين ملؤهما

الرضى. وقبل أن يتسنى لها الوقت لتفتح فمها، كان برونو قد أجابها ببرودة وهدوء قاتلين، متقبلاً تهنئتها لهما وكأنها تنبع من قلبها فعلاً. ابتسم وهو يقول للمرأة الشقراء إن انفصاله عنها هو أفضل عمل قام به في حياته.

طغت على وجه إيزابيل مسحة من الحقد الواضح ورفعت كتفيها لتبعد يد صديقها الذي حاول تهدئتها، ثم قالت: «آه، أحقاً؟ أنا أعرفك جيداً، وأعرف أن هذه الخطوبة المزيفة هي بالرغم من إرادتك».

ثم ضحكت قبل أن تتابع قائلة: «لا يمكن لرجل مثلك أن ينسجم مع شابة صغيرة قليلة الذكاء، لا أحد يعلم من أين أتت. أليس كذلك؟»

شعرت كاتي بالغضب يغلي داخل برونو، لكن عندما تكلم جاء صوته هادئاً تماماً: «أنت مخطئة تماماً في تفكيرك هذا عزيزتي. هذه الخطوبة هي حقيقية بالفعل..»

- لن تمانع إذن بإعلان موعد للزفاف، أليس كذلك؟

- لا، على الإطلاق!

وأومأ برأسه إلى أحد المصورين الذين ما زالوا يتسكعون في الجوار. وفيما كانت كاتي تراقب المشهد فاغرة فاها لشدة الدهشة، قال بنبرة صوت واثقة متعمداً أن يسمعه كل من يهمه الأمر: «أود أن أعلمكم أنكم مدعوون رسمياً لتغطية حفل زفافي من..»

ورفع يد كاتي إلى فمه وقبلها بنعومة ثم تابع: «.. من هذه المخلوقة النادرة، بعد شهر من اليوم. وسوف نعمل على إنهاء بعض الإجراءات في غضون الأسبوع المقبل».

أخذ لهما المصورون المزيد من اللقطات إثر هذا الإعلان. وآخر ما لمحته كاتي هو أحد المصورين الذي يلتقط صورة سريعة لهما، وذلك قبل أن ينحني برونو ليضمها إلى صدره ويعانقها بشغف كبير.

سيطرت الصدمة على كاتي خلال الدقائق الخمس التالية؛ مزيد من

الصور ومزيد من الأسئلة طرحت عليهما بعد إعلان هذا النبأ. وقد أجاب عليها برونو، كالمعتاد، بذكاء وبراعة، ما جعل إيزابيل تبتعد مغادرة. وأخيراً نظر إليها برونو وقد بدا وجهه الوسيم الداكن ساحراً، قبل أن يقودها إلى السيارة التي كانت في انتظارهما.

عندما أغلق باب السيارة خلفها واندفعت السيارة خارجة من الموقف، أدركت كاتي أنها ترتجف. استدارت ببطء نحو برونو الذي كان يراقبها بنظرات حادة وعينين حذرتين. وكل ما استطاعت قوله: «أعتقد أنني أعيش في حلم مزعج».

- إنه ليس حلماً!

كانت السيارة مزودة بحاجز وشاشة للحفاظ على سرية الحديث الذي يدور في المقعد الخلفي فأعطى برونو أوامره للسائق قائلاً: «استمر في القيادة هاري حتى أطلب منك أن تتوقف».

- إلى أين نتوجه سيدي؟

- إلى أي مكان تريده.

ثم أغلق الساتر الزجاجي وأسدل الستائر العاجية اللون ما أمّن لهما خصوصية تامة بالتأكيد.

صرخت كاتي متوسلة: «أرجوك قل لي إن ما ظننته قد حصل لم يحصل مطلقاً».

- لا يمكنني القيام بذلك.

- هل تدرك ما الذي أقدمت عليه وما الذي فعلته؟

بدا برونو هادئاً جداً حتى شعرت أنها تود أن تضربه. وتابعت تقول: «كيف يمكنك القيام بذلك؟ كيف؟»

نظر برونو إليها كأنه يفكر بشيء ما، ولم تكن كاتي مهتمة في الوقت الحاضر بمعرفة هذا الأمر الذي يفكر به. كلّ ما تعرفه الآن هو أن هذا الرجل

الذي يجلس بقربها، وعلى بعد مسافة قصيرة جداً، أوقعهما في ورطة من المستحيل أن يتمكنا من الخروج منها.

قال برونو بهدوء وبنبرة آمرة: «لا تصابي بالهستيريا!»

كلامه هذا جعل توترها يزداد أكثر فأكثر.

- لا أصاب بالهستيريا! وكيف يجب أن أتصرف، برونو؟ آه، يا إلهي!

وغطت وجهها براحتيها ثم أغمضت عينيها بقوة لعدة لحظات قبل أن تقول: «كيف ستتمكن من التخلص من هذا المأزق؟ كان الوضع سيئاً بما يكفي مع مسألة الخطوبة، لكن على الأقل كان ذلك أمراً نستطيع إلغاءه. لكن الزواج..؟ لا.. نحن لم نتزوج بعد، وليس علينا أن نجري معاملات طلاق.. فلنأمل أن ينسى الناس ما قلته في غضون شهر من الآن. نعم، هذا هو الحل..»

ثم عادت لتركز انتباهها عليه، فكرت بعدد الناس الذي يعرفونه، واهتمام الصحفيين به، وشعرت بقلبها يغوص بين ضلوعها. غداً سيتصدر إعلان زواجهما السخيف صفحات الجرائد، وسيكون جوزيف ووالدها من أول المهنئين.

جعلها التفكير بمواجهة ما بات أمراً محتوماً تطلق أنيناً مسموعاً. ثم قالت: «كيف سمحت لتلك المرأة بأن تدفعك إلى قول ما قلته، برونو؟ كيف أمكنك ذلك؟»

- ليس صحيحاً أن أحداً يمكنه أن يدفعني إلى قول شيء لا أريده.

قال برونو ذلك بهدوء لكن وجهه بدا متوهجاً. غير أن كاتي لم تلاحظ ذلك لأنها كانت منشغلة بالتفكير بالشبكة التي تلتف حولها أكثر فأكثر.

- هذا الصباح بالذات كنا نخطط لجعل والدي وجوزيف يعتقدون أن.. أما الآن..!

فظاعة ما حدث الآن جعلتها تفقد القدرة على إيجاد الكلمات المناسبة.

قال برونو بنبرة صوت متوترة: «أعتقد أنك تتوقعين مني اعتذاراً..»

كلامه جعل كاتي تعود إلى أرض الواقع، ونظرت إليه غير مصدقة: «اعتذاراً؟ كيف أتوقع منك اعتذاراً؟ أفضل أن تقدم لي تفسيراً لتصرفك هذا. لقد قفزنا للتو من المقلاة إلى النار، برونو».

- هل فعلنا ذلك حقاً؟

- أنت تعلم أن هذا ما حصل!

راقبته وهو يستدير مبتعداً عنها، كي يتمكن من وضع يديه خلف رأسه. ثم أخذ يحدق بالستائر أمامه، وسألها: «لِمَ لا؟»

قال ذلك بصوت خفيض بالكاد تمكنت من سماعه. انحنت كاتي نحوه، متسائلة إن كان ما سمعته حقيقة أم وهم. وسألته مستغربة: «ماذا تقصد؟»

لو لم تكن تعرفه جيداً، لاعتقدت أنه فقد السيطرة على أفكاره. ساد الصمت بينهما لبرهة، صمت ثقيل لم تستطع تحمله. وإذا به يقول: «نحن مخطوبان. حسناً، لِمَ لا نتزوج؟»

كان الاقتراح بحد ذاته صدمة كبيرة لها، حتى لها، شهقت وكأنها لم تعد تجد هواء كافياً لتتنشقه. وتابع برونو من دون أن ينظر إليها: «أقصد، لا يمكنك القول إننا لسنا منسجمين، كما أن هناك انجذاب قوي بيننا. ولو فكرت بالأمر جيداً فإن جوزيف ووالداك سيسعدون جداً لهذا الأمر».

استغرق الأمر عدة دقائق قبل أن تدرك كاتي ما الذي يعنيه تماماً بكلامه. إنه يعتبر أن الزواج منها سيشكل حلاً مقبولاً للمشكلة التي وجدا نفسيهما فيها، ففي النهاية، ألم يقل لها بنفسه إنه يعتقد أن الوقت قد حان كي يستقر؟ فكر بإيزابيل كمرشحة لهذا المركز لكن الأمر لم ينجح معها، والآن، ها هما في وضع مثالي كي ينتقلا من خطوبة مزيفة إلى زواج مناسب، وكما قال لها، إنها تعجبه وهو منجذب إليها وهذا برأيه كافٍ. أما مفهوم الحب فلا أهمية له على الإطلاق.

سيطرت عليها موجة من الغضب راحت تغلي في داخلها واصطبغ خداها باللون الأحمر. فقالت بسرعة: «لقد اعتدت أن تقول لي إنني أثير أعصابك عندما أتكلم معك ولا أنظر إليك».

وتابعت تقول بقدرة لم تكن تعرف أنها تملكها: «لذلك سأكون ممتنة لك إذا نظرت إلي الآن».

أجبر برونو نفسه على الاستدارة نحوها والنظر إليها، وهكذا أصبحا أكثر قرباً من بعضهما البعض.

- هل فكرت مرة أنني قد لا أشاركك.. أفكارك الرومنسية الرائعة حول تعريف الزواج المثالي؟

وكوّرت كاتي يديها في قبضتين قبل أن تتابع قائلة: «صدق أو لا تصدّق، أنا لا أريد أن أذهب إلى الكاهن وأقول «نعم» لرجل لأنني فقط أعجبه ويراني جذابة. ولا أقبل بالزواج لأن بعض الأقارب يجدون أن هذا الزواج أمر جيد. كيف يمكن أن تكون متكبراً ومغروراً إلى هذا الحد، فتتخيّل أنني قد أقبل بخطتك؟ أنا لست إيزابيل كما تعلم!»

قال برونو برقة: «أعلم ذلك».

كانت نبرة صوته كافية لتفقدها توازنها للحظات قليلة، إلا أنها سرعان ما استعادت سيطرتها على نفسها. وتابع برونو يقول بتلك النبرة الرقيقة الواثقة من نفسها: «أنت لا تشبهين إيزابيل في أي شيء. ولا تشبهين، في الواقع، أي امرأة عرفتها في حياتي كلها. أنت امرأة فريدة. وأنا لم أعلم حقاً كم أنت مميزة إلى أن بدأت أمضي وقتاً في صحبتك، وبدأت أعتاد على طريقة تفكيرك وطريقة كلامك وابتسامتك».

همست كاتي: «لا يمكنك أن تتملقني كي أسير وفق خطتك الغبية تلك».

- أنا لا أحاول أن أتملقك. أنا فقط أقول الحقيقة.

وتطاول ليلمس خدها المتوهج بظاهر يده، وبذلت كاتي جهداً كبيراً كي

لا تقفز من مكانها وترتمي بين ذراعيه.

- أمضيت حياتي وأنا التقي بنساء يعرفن الكلمات المناسبة ويرتدين الثياب المناسبة. وعندما أصيب جوزيف بالمرض واضطررت إلى الذهاب إلى الريف والبقاء هناك، ظننت أن قضاء الوقت مع شخص يظهر دوماً بمزاج سيء مثلك سيقودني إلى الجنون. آه، كم كنت مخطئاً! بدأت أنزلق إلى عالم سحري غامض وأحببت ذلك الشعور كثيراً.

حاولت كاتي ألاّ تستسلم إلى ذلك الشعور المدغدغ الذي تحمله إليها كلماته المخملية. وتابع يقول: «وجدت نفسي أتساءل كيف تبدين..؟»

- كيف أبدو؟

- تحت تلك الثياب الفضفاضة.

ورمقها بنظرة متفحصة ما جعلها تحمر خجلاً.

- أحد الأسباب التي دفعتني إلى دعوة إيزابيل إلى المنزل، هي أفكاري الخطيرة التي بدأت تتشكل حولك. بطريقة ما، كان ذلك أفضل عمل قمت به، لأنني عندما رأيتها قربك اقتنعت أنها لا تناسبني مطلقاً.

أخذت كاتي نفساً عميقاً وقالت: «لكن هذا لا يعني أنني أنا المرأة المناسبة لك. حسناً، أنت معجب بي، وأنا لست تلك الحمقاء التي ظننتها في البداية..»

وتجهم وجهها وهي تفكر بالصورة التي كانت تبدو عليها في ذلك الوقت. في الواقع، برونو يراها مختلفة عن النساء اللواتي عرفهن في الماضي. وتابعت تقول: «لكن، بالنسبة لي، الزواج هو أكثر من الإعجاب بشخص ما، إنه يحتاج إلى حبه، ألا ترى ذلك؟ ما تصفه قد يكون ناجحاً لبناء زواج عادي ولكن ليس زواجاً متكاملاً. ومن ناحية أخرى سيكون هذا الزواج بلا حياة.. يفتقد إلى شعلة الحب».

لكن ذلك لا ينطبق عليها، كما فكرت، لأنها تكن له حباً كبيراً في

أعماقها، وهذا سيجعل الأمور أكثر صعوبة فلا يمكنها أن تتحملها.

ولأول مرة، ترى برونو ينظر إلى البعيد، ويهزّ رأسه قليلاً وكأنه يحاول أن يتخذ قراراً ما. وسألها بنبرة قاسية: «أليست هذه بداية أيضاً؟ أقصد.. يمكنك أن تتعلمي.. أن تحبيني، ألا تستطيعين ذلك؟»

التردد الذي ظهر في صوته جعلها تشعر بارتباك مفاجيء وغريب، فقالت: «عمَّ تتكلم؟»

- أحاول أن أقول لك إنني.. لا أرى هذا الزواج كزواج مدبّر. لن يكون كذلك، على الأقل ليس من ناحيتي.

- لم أفهم ما الذي تحاول قوله.

- ألا يفترض بالنساء أن يمتلكن حدساً خاصاً لفهم هذه المسائل؟

سألها ذلك بنبرة صوت تحمل الكثير من المعاني، ثم نظر إليها بإحباط من تحت رموشه الطويلة ما جعلها ترغب بالابتسام، وسألته بدورها: «أليس من المفترض أن برونو غيانيلا لا يخشى شيئاً؟»

قال وهو يبتسم على مضض: «معك حق. إلا أنني أشعر ببعض الرهبة لأنني أحبك وأريد الزواج بك وأريد أن أقنعك أنك حتى لو كنت لا تشعرين بالحب نحوي، فسوف تفعلين بعد حين. نعم يمكنك أن تتعلمي حبي.. أنت بحاجة إلى بعض الوقت فقط».

شعرت كاتي بأن فرقة من الملائكة تعزف لحناً سماوياً وترقص حولهما. برونو يحبها! افتر فمها عن ابتسامة ما لبثت أن تحولت إلى ضحكة مجنونة. أخذت نفساً ثم قالت: «لقد قلت لتوك إنك تحبني!»

- هذا صحيح! أنا أحبك.. أحبك حتى الجنون. سمّي ذلك ما شئت.

- لكن.. متى؟

شعرت أن أنفاسها معلقة بكل كلمة يتلفظ بها، رغبت بأن يطول هذا الاعتراف الذي جعلها تحلق في الفضاء لفرط سعادتها.

قال برونو معترفاً: «لقد تسلل حبك إلى كل ذرة من كياني. في دقيقة كنت أتساءل إن كنت ستتمكنين من إنجاز ابسط الأعمال على الكومبيوتر وفي الدقيقة التالية وجدت نفسي أراقبك وأحرص على قضاء أطول وقت ممكن برفقتك».

بدا كلامه كالموسيقى في أذنيها. وتنهدت بقوة وتمتمت: «ذلك الوقت كله، وأنا واقعة في حبك وأفكر أن من المستحيل أن تبادلني تلك المشاعر..»

بقي برونو صامتاً للحظة ثم ابتسم قائلاً: «كنت تنهربين من علاقتنا وأنت واقعة في حبي؟»

لامس وجهها برقة ثم ضمها إلى صدره بحنان كبير.

- لم أفكر لحظة واحدة أن بإمكانك أن تقع في حب فتاة مثلي.

ابتعدت عنه كاتي وهي تشعر برغبة كبيرة في البكاء. فقال لها برونو وقد قرأ تعابير وجهها: «المنديل جاهز وينتظر دموعك».

وابتسم لها بحب ما جعل الدموع تتبخر من عينيها.

- أفكر ما الذي كان سيحدث لو لم تقم إيزابيل بما قامت به، لو لم تقم بتلفيق تلك القصة وتنشر خبراً كاذباً عن خطوبتنا في الصحف.

وبدت لها تلك الفكرة محزنة.

ضمها إليه برونو من جديد وهو يقول: «نعم.. للقدر أساليبه الخاصة والغامضة في الحياة».

رفعت كاتي رأسها لتنظر إليه قائلة: «يجب أن أكون غاضبة من إيزابيل، لكنني لست كذلك، لأنني أحبك كثيراً برونو».

- حبيبتي..

قال لها ذلك بصوت مخملي يحمل مشاعر محمومة وضمها إلى صدره بحنان إلا أنه قال يغيظها: «لم تجيبي على سؤالي بعد. هل تقبلين بالزواج بي وتجعليني أسعد رجل على وجه الأرض؟»

همست كاتي: «كيف يمكن لأي فتاة أن ترفض عرضاً كهذا؟»

تمتم برونو في أذنها: «ستكونين زوجة رائعة وأماً مثالية».

قالت كاتي وهي تقترب منه أكثر: «لم أعد أطيق صبراً حتى الشهر القادم».

فابتسم لها برونو بمكر قائلا: «يمكننا أن نقرّب الموعد، فنجعل وقع زفافنا صدمة أكبر من صدمة خطوبتنا. ما رأيك هل نفاجيء الجميع بذلك غداً؟»

www.elromancia.com